أحمد محمد السويلم

معادلة في حياة الأمم

الماضي .. الحاضر .. المستقبل

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة ت ٩٢٣٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦ م



مقدمة

فى لحظات الإفاقة التى تتخلل لحظات الإغماء الطويل - بسبب بشاعة وفجأة الأحداث مما يصيب المرء بالدوار - يبصر المرء الدعاوى والدعوات والصيحات والشعارات التى تقف على طرفى نقيض وكل يحسب أن لديه الدواء المفيد والحق الأكيد ٠

وتُذرف الدموع وتُعقد الندوات وتصدر القرارات وتُشكل المجالس والهيئات بدعوى معالجة ما نحن فيه فى محاولة للظهور على خريطة العالم من حولنا ٠

وبينما يرى البعض أن إهمال التراث له دور فى ذلك ، يرى آخرون - وهم ذوو الأصوات العالية والريش المنتفش - أن داءنا الوحيد هو هذا التراث فيجب التخلص منه بالبتر السريع ٠

وبينما يرى البعض أن استقلال الذات العربية الإسلامية قارب النجاة ، يرى الآخرون أن الإمساك بذيل الغرب واللهاث خلفه والاستجداء من على أبوابه وارتداء ما يلقيه من أثواب بالية هو الحل الأكيد ٠

أمام هذا وأمام ما يعترى الفكر الإسلامى العربى من ترهل وما تتصف به الشخصية الإسلامية العربية من هلامية تقبل الانبعاج - إلاَّ من رحم الله - أمام هذا كله توارد على القلب خاطر محاولة تقليب صفحات تاريخ الأمم حتى فتح الله علىَّ باستخلاص هذه المعادلة وهى العلاقة الحتمية - لا أعنى حتمية النتائج بنسب معينة - بل أعنى حتمية العلاقة بين الماضى والحاضر والمستقبل ٠

فثلاثية الماضى والحاضر والمستقبل تحظى بأهمية بالغة فى حياة الأمم شأن ثلاثيات أخر فى مجالات عدة كالثلاث المستحيلات عند العرب - الغول- والعنقاء - والخل الوفى- والثالوث القاتل : الجهل والمرض والفقر وغير ذلك .

إلاَّ أن المعادلة التى معنا تتفرد عن غيرها من حيث أنها تمس الواقع بل الواقع جزء منها فى حياة الأمم ، ويلمسها ويتأثر بها كل إنسان بل عمر الإنسان موضوعها عند النظرة الفردية فى هذه المعادلة .

فى حياة الأمم هناك تفاعلات بين مفردات هذه المعادلة وعند سقوط إحداها فى أمة من الأمم يكون حظها من التشوه والبوار كثير .

فالأمة التى تَجتث ماضيها وتحاول أن تقتلع جذورها ،أمة بلا أقدام، لا تحظى بثبات ، تلعب بها كل رياح ويكتب فى صفحاتها كل ما يراد .

أما تلك التى تغفل عن واقعها وتحيا فاقدة الوعى معصوبة العينين ، وكل مالها من حظ فى الحياة اجترار الماضى أو الترف فى سوق الأمانى والأحلام، تدوسها عجلات الواقع الفج العميق .

كما أن الأمة التى تفقد مستقبلها ، ولا تخطط فى ضوئه، ولا تتنبأ بقدر الإمكان بكوامنه وأطروحاته، وتسعى لهدف واحد، هى أمة فقدت العقل والفقه ، تأكل وتشرب وتتمتع كالأنعام فى حظيرة جازر .

الأمر يقتضى أن تكون كل أمة نتاجًا حرًّا لتفاعل مفردات هذه المعادلة - الماضى والحاضر والمستقبل - وهذا من مقتضاه ألا تمتد يد الأمة إلى ماضيها تجتثه أو تشوهه أو تتحلل منه وكأنه أغلال ثقال وما هكذا أبدا يكون ، أيضا لا تحيا حبيسة الماضى وحده ولا أسيرة المستقبل فقط ، بل يجب أن تعى واقعها بما فيه ، وأن تتفاعل معه ، أخيرا : لا تغفل ولا تتجاهل ما تحمله الأيام وما عساها أن تلد فى الغد القريب .

وفى إيجاز كبير - وحتى يكون بين يدى القارئ ما عساه أن يكون داخل هذه الأوراق - نقول :

لكل عنصر من عناصر هذه المعادلة دور هام فى حياة الأمم والشعوب فالماضى يتمثل دوره فى ضرورة تفسير الواقع من خلاله وتقييم الأحداث والنجاح فى التعامل معها ، ذلك أن الحاضر حلقة من الحلقات وحتى يحاط بجوانبها ومعالمها وأهدافها يجب أن يعرف حال الحلقة التى تسبقها ودورها فى ميلادها وفى تشكيلها حتى يعلم ما إذا كانت من طوارئ الأحداث أم أنها بيتت بليل قديم ٠

أيضا يتمثل دور الماضى فى تحديد الصيغة المقبولة للمزاوجة بين ما هو جديد وما هو قديم حتى لا يحدث اغتراب ، أما الواقع الحاضر فله قواعده وقوانينه ومتطلباته واستراتيجيته وأيدولوجياته ، ولا يجوز أن يغفل هذا ، بل يجب أن يطوع طرح الماضى ونتاجه ، فى ضوء الواقع الحاضر دون جور على الماضى ، ولا إهدار للحاضر ، وذلك أمر ليس يسير وبقدر النجاح فيه تسود الأمم وتستأسد أو تصير تابعة كالأنعام هاتفة لأسيادها كالأبواق ٠

وتكتمل عناصر المعادلة بضرورة توافر العنصر الأخير والهام وهو المستقبل وهو أيضا طرح ونتاج تفاعل الماضى والحاضر ٠

خلاصة القول : يجب العلم بالثوابت والمتغيرات : الثوابت والمتغيرات فى الماضى وما يجب أن يثبت وما يقبل التغير فى الواقع ومنهما يتبين المستقبل بثوابته ومتغيراته ، والعلم بالثوابت والمتغيرات هام فى جانبيه وضرورى للاتزان والاستقرار والتقدم ومواصلة المسير ٠

وعلى هذه الصفحات سنقف مع هذه المعادلة بشىء من التفسير والتوضيح على أن تذيل بدور الفرد فى ذلك ، وكل ما ستحويه عرضة للخطأ والصواب وبحسب هذه المعادلة فائدة أن تظهر الترابط الحتمى والذى لا خلاف فيه بين الماضى والحاضر والمستقبل ٠

ولقد ذكرت الماضى وأعنى به الفترة التى تتعرف فيها الأمة على منهج استقلالها وذاتيتها ، وما يشمله من أفكار وقيم ومثل وغير ذلك ، والمراد ليست الفترة إنما هو المنهج ذاته ، وعبرت عنه بالفترة التى حصل فيها لأدلل

على أسبقيته وتقدمه على المراحل الأخرى ، أما عن استعمال لفظ الإسلامية مردفًا بالعربية أو العكس فذلك أننى لا أرى تعارضًا بين المشروع القومى العربى والمشروع الإسلامى ، وإنى لأحسب أن هذا التباين بينهما ما نشأ إلا بأيد دفينة، سيئة النية تعمد للنيل من مكانه الأمة الإسلامية والتى هى الأعم والأشمل ، فقامت هذه الأيدى الخبيثة بإثارة جزء من هذا الكل وإغرائه بأنه يمكنه الحياة وحده دون أصله ، وأنه يستطيع أن يتصدر ويتقدم على أصله ، وهذا بالقطع محال .

فالأمة الإسلامية تشمل ضمنًا الأمة العربية ، ولولا الإسلام ما كان شأن العرب ؟! .

ثم إن البحث ينصب على حياة الأمم والموجود على ساحة الواقع الآن - هى الأمة الإسلامية ، والتى تملك المشروع الكامل المتكامل للحياة ، أما الأمة العربية - إذا ما أريد بحثها منفصلة عن الإسلام - فيما عساها أن تكون ؟! وأين المشروع الفكرى النظرى الكامل لديها والذى على أساسه تستقل فى المرجعية والمعيارية والأهداف وغير ذلك ؟؟ وما هى الجدوى - إن وجد - فى اتباعه دون المشروع الإسلامى ؟؟ لا سيما وقد مثل هذا الأخير نسيج الأمة العربية فهى الآن أمة إسلامية عربية .

أما هؤلاء القلائل الذين يحاولون بخبث نية وسوء طوية - مأجـــورين أو عاملين لمصالحهم الذاتية أن ينادوا بالعربية وحدها فإنهم ينادون بالتبعية للغرب ، ومحاولة الاندماج فيه وكل ما لديهم التقليد ، وليته تقليد لما ثبت فائدته وصلاحه، إنما على النقيض هو تقليد لما يشكو أهله منه .

* * *

المـــــاضـــــى

● **أهمية الوعى بالتاريخ :**

إن البعد التاريخى للأمم له ضرورته وأهميته فى تشكيل حاضرها وثقافتها وإراداتها وأهدافها ولا يعنى ذلك حتمية معينة لأن الإنسان - وهو آحاد الأمة - لا يمكن أن يكون معطى من المعطيات التاريخية بل هو ذات فاعلة فى التاريخ وإن تأثرت به لا محالة .

فالحاضر ليس حاصل جمع بسيط للماضى وإنما هو - الحاضر - قادر على خلق وصنع وإبداع واقع لم يكن فى التاريخ .

وإدراك الماضى إدراكًا واعيًا ضرورى لمعرفة الطريق القويم - معرفة العدو من الصديق - ومعرفة كيفية التعامل مع كل حديث وجديد ، فالتزاوج بين الماضى والحاضر واستيعاب دروس الماضى والاستفادة منها وتحديد مكانة الماضى فى الحاضر ضرورى حتى يتم الانطلاق نحو المستقبل وبغير ذلك تعجز الأمة عن دخول الواقع بأبعاده .

وفى المقابل لا يحمد للأمة أن تجعل ماضيها عقبة فى سبيل تحرر الحاضر وانطلاقه نحو المستقبل لا يحمد لها أيضا أن يكون كل دورها ورغبتها الرجوع للوراء .

على أن نسيان الأمة لماضيها ووجودها فى التاريخ كموضوع وطرح له يهمش وجودها ويجعلها تابعة ولا تتاح لها فرصة الفعل فى التاريخ لأنها بفقدان ذاتها صارت موضوعا لا غير .

ومن تجرعات الاغتراب وأهم أسبابه فقدان الذات بفقدان الماضى ، والأمة الإسلامية العربية شأن جميع الأمم - عليها أن تعى ماضيها وعيا يتصف بالكمال والحضور الدائم ولا يحمد لها أن تحيا وفى تاريخها فجوات واسعة مغرقة تبتلع الوعى والإدراك .

ولئن كان الماضى كله هام والأمة مطالبة بإدراكه وعدم نسيانه ولا الغفلة عنه إلاَّ أنه يمكن أن يغفر لها تلك الفترات البعيدة نوعا ما فى تاريخها .

وإني لأعجب أشد العجب كيف تبعث الأفكار الفرعونية من تحت ركامها وبدأت تملأ الشوارع أسماء فرعونية وحتى في الجامعات ،بل وأحيانا يرمز لأضخم فعاليات مصر بأسماء فرعونية في نفس الوقت يضرب الذكر صفحا عن تاريخ الأمة الإسلامية حتى عن وقائع ذلك القرن الأخير ·

العلم بالماضي هام،وإن كان يغفر للأمة أن تعجز عن لمّ كل كبيرة وصغيرة في تاريخها البعيد، فإنه لا يغفر لها بحال من الأحوال أن تتعمد هي إسقاط فترات من تاريخها، ولا يغفر لها أيضا العجز عن إدراك ماضيها القديم - مع ملاحظة أن التاريخ في حياة الأمم، يغاير التاريخ في حياة الأفراد ، فمائة عام في حياة أمة أشبه بسنة في حياة الفرد إن لم تكن أقل بكثير ·

في حياة الأمم - شأن حياة الأفراد - لا يعرف العدو من الصديق إلاّ من خلال أحاديات الأيام التي مضت وسالف الوقائع والأحداث ، والأمة الإسلامية العربية يجب أن تعي ماضيها فتعي أعداءها وأصدقاءها ولا يليق بها أن تقف أمام حالات النصر في تاريخها ، لتشيد بها ، ثم تطوى الطرف خجلا عن لحظات الضعف والهزيمة ، بل الأعجب أن تسقط هذه اللحظات من تاريخها، فتنشأ الأجيال وهي لا تعلم شيئا عنها إلا ما كان قد تسرب إليها من إشاعات وأحاديث غير واعية وغير موثقة وغير دقيقة ، مما يترك فجوة في الفهم العام لتاريخ الأمة ·

عندما تحتفل الأمة الإسلامية العربية كلها بالنصر في غزوة بدر فكل ما لهذه الغزوة من نصيب صورة هزيلة من الاحتفالات الراتبة التي يؤتى بها من مستودعات أعدت للاحتفاظ بها لنفس الغرض كل عام ثم ينتهي الأمر بعد ساعات فإذا براهبات الليل راقصات بالنهار والباكين بالليل « بهلوانات » على المسارح بالنهار وهذا الشأن في كل المناسبات الإسلامية ، يرتدى الفنانون والفنانات - حسب لغة العصر العقيمة - ثياب الصالحين وعند الانتهاء وقبل أن يغادروا المكان يودعوا الحاضرين بثياب الخلاعة والمجون ·

* * *

علاقة غزوة بدر بأحد وارتباط الأحداث

ما هكذا أبدا الإلمام بالتاريخ والعلم به وإدراكه ووعيه ، إنما يجب أن يمثل في الأذهان، ويحس في الشعور والوجدان، ويعرض على جميع الأجيال ما كان من أسباب بدر وما تبعها من آثار، فلقد توعد يومها أبو سفيان المسلمين ، وحدثت أحد، وفي الفترة بين بدر وأحد لم يغفل أيٌ من الجانبين عن مشاهد بدر وأحداثها بل ظل هذا اليوم مسيطـــرا على الأحـــداث ووقعت أحد وقال أبو سفيان بعد نهاية المعركة (ألا إن الحرب سجال يوم بيوم أعل هبل) فأمر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب أن يجيبه بقوله (الله أعلى وأجل ، لسنا سواء ، قتلانا في الجنة ، وقتلاكم في النار) ثم قبل أن ينصرف أبو سفيان ومن معه نادى إن موعدكم بدر للعام القادم ، فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه (قل نعم هو بيننا وبينكم موعد) .

الأحداث إذا كانت مرتبطة مبنية على بعضها البعض ،فلا يعقل أن نقف أمام بدر نجتر أذكار وذكريات نصر ، ويغيب عنا ما تبعه يوم أحد ، وما كان بين هذا اليوم وذاك من صلة وارتباط وما تبعهما من آثار ، لا يعقل أن تغيب عنا العبر والفوائد الجمة الكثيرة في يوم أحد ، فلقد نزل من القرآن ستون آية في شأن يوم أحد من سورة (آل عمران) من الآية ١٢١ إلى الآية ١٧٩ [١] .

فكيف نعي هذه الآيات عندما نتلوها بينما موضوعها وأحداثها عنا بعيد، وكل آية منها مرتبطة بيوم أحد ، لن نقف نسرد السيرة ، فذلك أمر له رجاله، العظام الأكابر الأعلام، وله مؤلفاته الجسام، ولكن الغرض التمثيلي من واقع تاريخ الأمة الإسلامية لتعلم أنه ما كان يجوز للمسلمين أن يغفلـــوا عن أثر بدر في ما تبعها من أحداث وأيضا ما تبع أحد من أحداث وما كان بين هذا وذاك من صلة وارتباط .

---

(١) أحداث بدر وعلاقتها بيوم أحد ، من مقال للدكتورة بنت الشاطئ . الأهرام ١٤ / ٤ / ١٩٩٤ م ، ص ٨ بعنوان « فجوات خطرة في الفهم العام لتاريخنا » .

ومنذ التاريخ الوسيط والحديث والمعاصر، تشكلت خصومه وعداوة بين الأمة الإسلامية العربية والغرب المسيحى ·

فالحروب الصليبية وما تبعها من احتلال صليبى لمدة تقارب قرنين وانتصار المسلمين على المسيحيين ، بل وأكثر من ذلك فتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية عام ١٤٥٣ م ومن خلال فتوحات المسلمين بقيادة الأتراك للدول الأوربية ،ترسخ لدى الغرب والمسلمين معا نوع من الكره والبغض والضغينة ·

وإن كان المسلمون عندما حققوا النصر بقيادة صلاح الدين الأيوبى ، تغافلوا عن تلكم النوايا المبيتة والأحقاد الدفينة لدى الغرب ، فلقد دالت الأيام ودارت وولدت الليالى الحبالى مآسى وفواجع كان أكثرها مرارة ضياع المسلمين من التاريخ والاستعمار الغربى الأوربى لكل الدول الإسلامية ·

وتبلغ المأساة منتهاها ، عند تآمر الغرب على إسقاط الخلافة العثمانية آخر معالم الأمة الإسلامية والراية والشارة الباقية لهم ، والتى كانت رغم ضعفها ، رمزا لوحدة المسلمين فى مواجهة أعدائهم ·

لماذا نغفل نحن عن هذه الأحداث !!! هل سقطت الخلافة بفعل المسلمين أم بتخطيط الغرب وتدبيره ؟ ولماذا خطط الغرب لذلك ؟؟ لماذا لم ينس الغرب ما بينه وبين المسلمين من عداوة ؟

لماذا نغفل عن الترابط والعلاقة بين الحروب الصليبية وفتوح المسلمين لدول الغرب على يد الأتراك وبين إسقاط الخلافة العثمانية ؟

لو كان ما حدث يوم بدر ، وأثره فى يوم أحد ، ثم يوم الخندق معلوم لدينا، وحاضر فى وجداننا ، ما غاب عنا أبدا الارتباط الوثيق ،بين عداء الغرب للإسلام ،وإسقاط الخلافة الإسلامية العثمانية ·

نعم الإسلام لا يدعو للعداء مع أحد فالمشروع الفكرى الإسلامى ليس مشروعا عدائيا ضد أحد لكنه بإمكانه التعايش السلمى مع الأمم الأخرى بحضاراتها - المسيحية واليهودية - ·

لكن المراد هو: عندما يشعل الغرب النار، وعندما يدبر ويكيد للمسلمين ويتعامل معهم على أنهم عدوه الأول والأخير، فى مثل هذه الحالة ،هل يجوز للمسلمين أن يعيشوا فى عمى وفقدان للوعى وتنشأ بينهم دعوات مدعومة رسميا تنادى بأن الغرب هو المعين والمؤازر وعلينا أن نسمع له ونطيع .

ما هكذا أبدا تقاس الأمور حتى لدى فاقدى الوعى والإدراك فاقدى الهوية والعقيدة .

* * *

دور اليهود فى إسقاط الخلافة العثمانية

لماذا نتجاهل ونتعامى عن ماضينا ؟ ولا أعنى الماضى البعيد ، فأمام واقع الحياة وسرعته وما حدث من تقزيم للزمن وتعدد فى الأحداث فإن الماضى المقصود هو هذا القرن الأخير والذى نشعر كأن بيننا وبين بدايته مئات الأعوام بسبب ما وقع فيه من أحداث استطاعت أن تبتلع كل شىء حتى الذاكرة ٠

ما نحن بصدده الآن بيان أهمية الماضى - كأحد عناصر هذه المعادلة - فى تكوين وإنارة الوعى العام لدى الأفراد وان كانت الحروب الصليبية والاستعمار وإسقاط الخلافة الإسلامية من النتوء والندبات التى تعجز الأحداث عن مداواتها وإزالة آثارها فإن الأكثر ألما من ذلك والأشد بروزا وتشويها للجسد الإسلامى والجرح العميق ذو الرائحة الكريهة التى تكاد لشدتها أن تزكم الأنوف، والذى يعد حفرة عميقة فى جسد الأمة الإسلامية ولا يزال ينزف ويتسع، إنَّ ذلك الحدث هو غرس العضو الأشل المريض بالأكلة فى الجسم الإسلامى ، إنه غرس إسرائيل ٠

إن هذا الحدث يخدم كثيرا ما نحن بصدده ذلك أن إسرائيل استندت فى نشأتها إلى ماضيها - ماضى الأمة اليهودية - مما يبرهن أن الماضى له دوره الهام فى حياة الأمم - فى الواقع والمستقبل على حد سواء ٠

لقد دفع اليهود إلى النزوح إلى أرض فلسطين مزاعم قديمة لديهم تسبق ميلاد المسيح بكثير ٠

والعجيب أنه فى عام ١٨٩٦ رسم (هرتزل) فى مؤتمر (بازل) خريطة مملكة اليهود رغم أن مملكتهم المزعومة كانت فى هذا الوقت تحت سلطان الخلافة العثمانية ، وجاء أقطاب اليهود إلى فلسطين ليهيئوا مملكتهم وأرادوا أن يساوموا السلطان عبد الحميد على شراء فلسطين - خاصة وأن الدولة العثمانية دخلت حروبا متوالية أنهكتها واستنزفت خزانتها وأثقلتها بالديون - فتقدم عملاء اليهود فى سنة ١٩٠٨ بالصفقة يدفعون للسلطان عبد الحميد خمسة

ملايين من الجنيهات هدية له مع تقديم قرض ميسر للخزانة العامة قيمته خمسون مليونا من الجنيهات ، لكن الرجل - رحمه الله - رفض الصفقة ورفض الخيانة وقال بصريح اللفظ إن فلسطين ليست من أملاكه الخاصة التى يتساوم عليها .

لم يسكت اليهود ولم يفشلوا بل راحوا يخططوا لإنهاء وإسقاط الخلافة العثمانية التى كانت تتصدى لكل عدوان على الأمة الإسلامية كما حدث فى مواجهة الحرب الصليبية التى أشعل اليهود نارها .

وتواطأ اليهود مع جماعة الدونمة (التركية) على عزل السلطان عبد الحميد بقرار من مجلس (المبعوثان) عام ١٩٠٩ حمله إلى السلطان ثلاثة من أعضاء المجلس أحدهم (هرتزل) الذى تولى تقديم القرار إلى السلطان عبد الحميد فأمره بالتوقيع عليه فلم يملك رحمه الله إلاّ أن قال - وهو يوقع على قرار العزل - أما وجد القوم غيرك من يحمل هذا القرار إلىّ .

وفى سنة ١٩١٤ أعلنت بريطانيا الحماية على مصر لتقطع من أوصال بين مصر والخلافة الإسلامية ، وبعد سنتين فى سنة ١٩١٦ قضت معاهدة (سايكس) - (بيكو) بتوزيع تركة الرجل المريض على المستعمرين وورثة الصليبية ثأرا من المسلمين - وإن كان الظاهر أنه عقاب لتركيا على دخولها الحرب العالمية الأولى مع ألمانيا - فى اليوم الثانى من نوفمبر من السنة التالية ١٩١٧ أذاعت وكالات الأنباء فى أنحاء المعمورة نص رسالة الوعد المشؤوم بعث بها من لندن اللورد (آرثر بيلفور) اليهودى وزير الخارجية البريطانية للمليونير اليهودى (أدموند روتشلد) وهذه ترجمته (إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى لليهود فى فلسطين وستبذل أفضل مساعيها لتسهيل تحقيق هذه الغاية) .

وعاش السلطان عبد الحميد الثانى سنة بعد وعد (بيلفور) المشؤوم الذى أعطى اليهود ما أباه عليهم خليفة المسلمين فتقاضاه اليهود عرشه وحريته ثمنا لما رفض بيعه بملايين الجنيهات .

وتوفى رحمه الله سنة ١٩١٨ بمنفاه فى إحدى قرى (أزمير) التى

نقل إليها من سجنـــه الأول فى (سالونيــك) - بلدة مصطفى كمال أتاتورك - ·

وحان الوقت لإعلان موت الرجل المريض لتصبح دولة الخلافة الإسلامية التركة المنهوبة فى حالة احتضار، وفى التاسع والعشرين من أكتوبر ١٩٢٣ أعلن مصطفى كمال أتاتورك قيام جمهورية تركيا العلمانية ·

وبعد أربعة أشهر وتحديدا فى مارس ١٩٢٤ أعلن رسميا إلغاء الخلافة الإسلامية ونبذ اللغة العربية وكتابتها وطمس هوية تركيا الإسلامية والتاريخية ·

وطويت مآثر ماضيات للدولة التى شهدها التاريخ تحمل لواء الإسلام عزيزا منتصرا إلى قلب أوربا وتقرع أبواب (فينا) كبرى عواصمها وقت ذلك· ليشهد بعد ذلك شعوب وطننا تركة منهوبة لورثة فريدريك بارباروس ، وفيليب أوجست ، وريتشارد قلب الأسد ، ولويس التاسع القديس الأسير ومن ورائهم جميعا العصبة اليهودية سدنة خزائن المال فى أوربا والقابضون على الخيوط المحركة لقادة الصليبية والاستعمار [1] أين هذه الأحداث الفواجع من وعى الأمة الإسلامية ؟ أين هى من ذكريات. ووجدان المسلمين ؟ · أين هى من رؤيتهم ؟ أين هى من أفعالهم وعلاقاتهم ؟ ·

لماذا لا تتجسد هذه الأحداث أمام أعيننا جميعا ؟·

لماذا لا تدرس لطلابنا فى المدارس فى مقررات التاريخ والأدب ؟؟؟

للأسف كل ما يرد ذكره للدارسين قصائد أنشدت عند نشأة جمهورية تركيا على يد أتاتورك الأرعن البليد وكأن المراد هو تكوين وعى عام لدى الدارسين بفائدة وأهمية التحرر بمعناه الشائه الأعرج والتمثل فى نبذ الإسلام ·

لماذا لا توضح هذه الأحداث وهى جزء هام من ماضى الأمة الإسلامية - ماضيها الحديث وحاضرها المرير - وليست ببعيد ؟·

---

(١) من مقال للدكتورة بنت الشاطئ ، الأهرام ٢٠ / ١٢ / ١٩٩٣ ، ص ٨ بعنوان « صفقة العصر الأمنية على المكشوف وأخرى معزولة عن الرؤية المعاصرة » ·

وكثيرا ما ترد عبارة (الرجل المريض) دون أن يدرى الكثير المراد بها وأنها تعنى أن تركته لن يأخذها ورثتها الشرعيون ولكن لمرض الرجل فسينتهبها ويتقاسمها غيرهم وهذا ما حدث بالفعل ٠

كم نحن معصوبو العينين محجوبون عن رؤية ماضينا القريب منا والذى لا تزال آثاره وأحداثه وموضوعاته وأطرافه قائمة شاخصة للعيان مجابهة لنا فى كل يوم وكل مكان ٠

إذا كان تشويه الخلافة الأموية يحدث على يد (ماسبيرو) وهيئة الكتاب فإن أفراد الأمة ، يمكن أن يعذروا إذا اختلط عليهم الأمر بسبب أن الخلافة الأموية كانت من أمد بعيد - نسبيا - ويصعب فى عصرنا الوصول إلى الحقائق بسبب التلوين السياسى لكل مفرزات الإعلام ٠

لكن لا عذر لأى فرد فى الأمة فى عدم استشعار ومعرفة واستحضار تلك الصفقة البشعة التى تمت لغرس إسرائيل فى قلب الوطن المسلم والقضاء على الخلافة الإسلامية ٠

لا عذر نعم واسرائيل لا تزال بيننا دليل إدانة لعداء الغرب للمسلمين ، لا عذر ودماء الخلافة الإسلامية لا تزال باقية فى وثائق الخارجية البريطانية ٠

لا عذر ويهود الدونمة بالحقيقة ينطقون ، لا عذر وحال الأمة الإسلامية- لا سيما تركيا - يشهد بما كان وما عساه أن يكون ٠

لا يعلم كثيرون أن الخلافة الإسلامية ظلت قائمة من أبى بكر - ﷺ - وحتى عام ١٩٢٤ وهو تاريخ سقوط الخلافة العثمانية على يد اليهود الملاعين وتحديدا منذ سبعين عاما ٠

لقد استمرت الخلافة الإسلامية ما يقرب ١٤٠٠ عام قبل أن يسقطها الغرب واليهود ، أليس هذا جزء هام من ماضى الأمة الإسلامية ؟ أليس لهذا الماضى أثره فى مجريات الأحداث من حولنا ؟ ٠

إن الجميع - سوى المسلمين - خاصة على المستوى الرسمى - يعيشون

الأمور وكأن بينها تواصل وامتداد والأحداث الماضية تسيطر وتؤثر على كل حدث يتخذه هؤلاء الآخرون .

أما نحن فلقد أنشأنا أجهزة إدارية رسمية أوليناها كل الرعاية وتحظى بكل ميزانيات الدول الإسلامية عملها الأساسى - بل الوحيد - هو تلهية المسلمين عن ماضى الأحداث وتشويهها واجتثاثها وحجبها عنهم .

فلينشغل المسلمون بالمباريات والمسارح والسينما والملاهى لتنشب بينهم العداوات والخصومات ليحفظوا أعلام النهضة الغربية والعربية المأفونين المأجورين .

لكن ليس لهم بحال أن يعرفوا متى سقطت الخلافة وكيف ؟ وبفعل من؟ ليس لهم أن يعرفوا كيف غرست إسرائيل فى قلب المسلمين ؟ لتقلب لهم الحقائق فالشرفاء عندهم هم الخونة العملاء والأقزام هم العمالقة الأعلام.

أين أقدامنا التى نمشى عليها حينما يسلب منا ماضينا ؟ كيف ترى أعيننا الصديق من العدو عندما تقلب الحقائق ويصنع من الورق أسود ومن الأعداء أصدقاء أوفياء ومن أهلينا أعداء وخصوم شداد ؟؟؟ .

إن هذا الأمر يصيب الشخصية الإسلامية بالتخبط وعدم وضوح الرؤية وتصبح كل الأمور أمامها غبش وبهتان ، إن الماضى يمثل جانبا هاما وركنا أساسيا فى الناحية الإدراكية الروحية للإنسان ، وعدم معرفة هذا الماضى يترك فراغا كبيرا يجعل الإنسان أجوف يسهل التأثير عليه حتى بما يضره .

كما أن العلم بهذا الماضى بصورة مشوهة يصيب الشخصية الإسلامية بالميوعة والترهل والهلامية .

* * *

أثر سقوط الخلافة

ولا يقف الماضى الحديث عند عام ١٩٢٤ وهو تاريخ سقوط الخلافة الإسلامية ، وإن كان المسلمون قد دخلوا التاريخ بعد هذا العام بأسماء غير المسلمين دخلوه عربا قوميين ، دخلوه كدول مصر - الأردن - سورية ...

ورحل للأبد اسم المسلمين من قاموس ولغة العصر الحديث ، وشطب هذا الاسم بفعل اليهود والغرب ، إلا أنه يجب أن نلمّ ونعلم بما تتابع من أحداث ويجب أن نفهم هذه الأحداث فى ضوء ما سبقها من وقائع .

نزل اليهود فلسطين وهم لا يتجاوزون إحدى العصابات ، ودخلوا مع العرب حرب ١٩٤٧ ، وبعدها العدوان الثلاثى ١٩٥٦، وبعده حرب ١٩٦٧، وبعدها حرب ١٩٧٣ وبعدها معاهدة كامب ديفيد ١٩٧٧ ، وأخيراً اتفاقيات السلام .

دخل اليهود كل هذه الحروب - ودخلوا التاريخ الحديث - استنادا وانطلاقا من ماضيهم البعيد ، دخلوا باسم اليهود وسموا فلسطين أرض الميعاد احتراما لما ورد فى توراتهم ، وسموا كل المواقع والأحداث والهيئات فى دولتهم بأسماء نابعة من ماضيهم لذلك كانت لهم أقدام أرسخ ، وهوية أوضح، وأهداف محددة ، فاستطاعوا للأسف - وبعد أن كانوا عصابة تسكن بين الفلسطينيين - استطاعوا أن يأخذوا كل فلسطين ويحكموا عليها السيطرة ويأخذوا جولان سورية وضفة الأردن وسيناء مصر وجنوب لبنان والعالم كله يسمع ويرى ذلك بل ويشارك فى تلك المآسى والفواجع لصالح اليهود ، وهل كان يعقل أن يقف الغرب يصفق للعرب وهم يقتلعون غرسه ويحطمون زرعه المتمثل فى إسرائيل بالإضافة إلى ما ترسب فى نفوسهم من عداء للمسلمين ، وهذا كله نابع من وعيهم للماضى واستحضارهم له دائما وإدراكهم التام لدور الماضى فى الحاضر .

بينما المسلمون ينسلخون من ماضيهم، ويتسموا بالعرب وبالقوميات الأخرى ، وأحزاب البعث وغير ذلك بل يعد النداء بالرجوع إلى الماضى

والاستناد إلى ثوابته تخلف وتطرف وإرهاب ووجدت فى كل أقطار الأمة الإســـلامية العربية أنظمة للحكم تسير وفق رغبات الغرب واليهود وتخدم أغراضهم - عن وعى - وكأنه ثمن لبقائهم فى الحكم ·

* * *

من هو عدو المسلمين · ولماذا ؟ :

لماذا يغفل المسلمون عن هذه الأحداث أليست الوقائع شاخصات للعيان ناطقات بالحقائق دون مبالغة ولا رياء هناك عداوة بين الغرب المسيحى والمسلمين وكلّ مواقف الغرب لن تكون بحال من الأحوال فى جانب المسلمين وإن بدت كذلك فالسبب ما أصاب المسلمين من عمى الألوان ·

هل وجود إسرائيل فى صالح المسلمين العرب ؟؟ · وهل يكف الغرب عن مساعدة إسرائيل ؟؟؟ فى كل دولة يتحكم فى سياستها عاملان - بصفة أساسية - (الدين والمصلحة)، وإن كانت الدولة تقدم المصلحة غالبا إلاّ أنها تذكر دائما جهارا تقديمها واحترامها للدين ·

ولقد توافر لدى الغرب تجاه المسلمين العاملان معا ، فمن المنظور الدينى يعد الإسلام والمسلمون عدوا للغرب يجب القضاء عليه أو تحجيمه فى أقل الأحوال - حسب تعاليم الإنجيل بعد تحريفه - وحسب تخاريف رجال الدين ·

ولقد كانت الحروب الصليبية منطلقة من هذا المنظور ، أما من منظور المصلحة فإن قوة الإسلام والعرب يتعارض مع مصالح الغرب تعارضا شديدا بسبب ما يتمتع به المسلمون من موقع استراتيجى وموارد طبيعية - بترول ومياه · · ·

وبسبب توافر هذين العاملين لم يجد الغرب خجلا فى أن يعلن صراحة مساندة إسرائيل وأن يعصف بكل بارقة للوحدة بين العرب ·

ولقد توافر العاملان أيضا لدى أمريكا التى لم يقل دورها فى العداء للمسلمين عن دور الغرب تنطق بذلك مشروعات القرارات المقدمة لمجلس

الأمن لإدانة إسرائيل والتى وأدها (حق الفيتو) السيف الذى تسلطه امريكا على كل ما يدين إسرائيل بالمرصاد .

والملاحظ أن مساندة أمريكا لإسرائيل ضد العرب المسلمين واضحة وصريحة فى ذات الوقت والسبب الذى قرب بين إسرائيل وأمريكا هو كما يقولون (عدو عدوى صديقى) ففى الوقت الذى كان فيه اليهود عدو الكنيسة اللدود ظهرت حركة (مارتن لوثر) وسمى أتباعه (بالبروتستانت) - أى المعترضين - فقد كانوا معترضين على الكنيسة وأصبح البروتستانت واليهود فى مجابهة الكنيسة وعند اكتشاف أمريكا هاجر اليهود والبروتستانت إلى وطنهم الجديد ودمجوا التوراة - المحرفة - مع الإنجيل - المحرف - ومنهما معا تكون الكتاب المقدس الذى يضم العهد القديم والعهد الجديد .

ولما كانت التوراة - بعد التحريف - تنص على أن فلسطين أرض الميعاد وهى وطن اليهود وأن المسيح سينزل من السماء عندما تكتمل مملكة اليهود سار كل بروتستانتى يؤمن - كعقيدة - بهذه المسألة ويزداد الأمر وضوحا إذا علمت أن ٦٠ ٪ من سكان الولايات المتحدة الامريكية بروتستانتى المذهب (١) .

أمام هذه الحقائق هل يعرف المسلمون العرب العدو من الصديق ؟؟؟ وهل كان فى مقدور المسلمين أن يفسروا الأحداث والوقائع ، ويتعاملوا مع كل المستجدات والأطراف دون أن يعوا ماضيهم القريب - بل حاضرهم .

هل كان بمقدور المسلمين أن يعلموا أن بعث القوميات بينهم ومهاجمة لغتهم وقيمهم وعقيدتهم عمل عدائى فى مواجهتهم إلا إذا اعلموا هذا الماضى وتلك الأحداث السالف ذكرها والتى تمثل غيض من فيض وقطرة من سيل وأمثلة من كثير .

● مظاهر القصور فى الشخصية المسلمة وأسبابه :

للأسف كل رؤانا قاصرة ناقصة وكل معارفنا سطحية ساذجة نتعامل مع

---

(١) علاقة البروتستانت باليهود؟ من مقال للدكتور محمد إسماعيل على بالأهرام.

الأحداث كأنها من طوارئ الأيام وطرح الفجأة فى حين أنها بيتت بليل بعيد وامتداد منطقى للأحداث ·

كل سياساتنا وأعمالنا ومواقفنا ردود أفعال ومن ثم لا نستفيد من الأحداث الماضية رغم ما أخذته تلك الأحداث من جهد ووقت، ورغم أنها قبل هذا كله جزء من نسيج الأمة ذاته ·

نفتقد وجود خطة نسير عليها ، وقطارنا الذى يسير بنا ليس له خط ولا اتجاه ، بل نحن كحمار الرحى يدور حول نفسه وحتى المنحنى الحلزونى ليس واضحا لنا ، وبسبب غياب الماضى وعدم إدراكه نعجز عن تقييم الأحداث فتجد الأفعال والأقوال متضاربة نحلم بما رفضناه من قبل ونطلب العون ممن نصفهم بالضعف والخوار ·

إن الشخصية الإسلامية العربية مريضة والخلل واضح فيها ، واضح فى التفكير وفى العمل وفى التفاعل مع الأحداث ، وهذا الخلل ليس بسبب الإسلام كما يُدعى الغرب واليهود، ويساندهم فى ذلك عرب أدعياء دخلوا سجلاتنا وهم لقطاء ·

إنما سبب هذا الخلل غياب الإسلام عن الواقع العملى وغياب الماضى عن الشخصية المسلمة العربية ، إن إهدار الماضى وتشويهه جعل الشخصية الإسلامية العربية تشعر بمرارة ولوعة الاغتراب فهى غريبة فى وطنها وبين أهلها، غريبة عن أنظمة الحكم التى تسيرها ·

إنها - الشخصية المسلمة - مسلمة وإسلامها جريمة ، إنها عربية ولغتها تخلف وتقاليدها رجعية وحيوانية ، وقيمها قيود ثقال ·

عدوها الوحيد هو صديقها المفروض عليها التودد إليه من قبل أنظمة الحكم - ما تحتاجه محرم عليها من قبل أنظمة الحكم وما ترفضه ويتعارض معها، تطالب وتلزم به من قبلها أيضا ·

ما يراه المسلم قبيحا هو فى نظر الإعلام الرسمى الصاخب القبيح الذى يلاحقك فى كل مكان، حتى إذا أغلقت الأبواب تجده على سريرك يقول لك على القبيح أنه منتهى الجمال ·

وما يراه المسلم عدوه هو فى نظر الإعلام الرسمى صديقه ، وعليه أن يواسيه ويستقبله بالأحضان وإلاّ كان ضد مصلحة الوطن ·

كل هذا أدى إلى وجود مسخ مشوه فى مكان الشخصية المسلمة ، إن المسلمين فى حاجة لأن يدخلوا حركة السباق - الحاضر - مستندين إلى ماضيهم وثوابته، وعليهم أن يعلموا أن التمسك بالماضى والعقيدة سيحفظ عليهم شخصيتهم واستقلالهم وأن فى غير ذلك الهلاك والبوار ·

وأمامنا ما حدث لتركيا على يد الأرعن (أتاتورك) البليد فلقد أصبحت تركيا الآن هامشا فى الحياة وحانة للعب واللهو ليس إلاّ بعد أن كانت يحسب لها ألف حساب وتمثل طرفا فاعلا قويا على ساحة الحياة ولقد قابلت كثيرا من الأتراك فلم أجد لهم وجودا فى أنفسهم ولم أجدهم يعرفون شيئا عن ذواتهم وحتى أولئك الذين يجاهدون ويبحثون عن المعرفة الحقة أجد لسانهم تغير وقلوبهم ضاقت فلا أملك إلاّ أن أدعو على من فعل بهم هذا وأدعو لهم بالصبر والجلد فى هذا الميدان ·

على الأمة الإسلامية أن تعلم أن وجودها وكيانها يتوقف على مدى تحكيمها للماضى وتأثرها به فى كل شئون حياتها ويعد من أبرز ماضيات الأمة الإسلامية العربية صراعها مع الغرب - والذى سبق الإشارة إلى جانب منه - كذلك صراعها مع اليهود ·

ويأتى الإسلام كعقيدة وشريعة على قمة ما يميز هوية الأمة الإسلامية - إن يهود العالم كله ينزحون الآن إلى فلسطين وهم من جنسيات وأعراق ولغات وثقافات مختلفة إلاّ أنهم يتعايشون معا انطلاقا من كونهم يهود - فلماذا يغفل المسلمون أنهم مسلمون !

* * *

ولماذا تبعث فينا نحن قوميات وحركات وأيدولوجيات متباينة ؟؟ علينا أن ننطلق من واقع أننا مسلمون ، إن كل الدول التى تتعامل مع الأمة الإسلامية العربية تتعامل معها على أنها مسلمة إلا أن المسلمين وحدهم الغافلون عن هذه الحقيقة ويتعاملون مع الغير ومع أنفسهم على أنهم عرب متحضرون أو فراعنة أو بعثيون ٠٠٠ ولن أضرب فى أعماق التاريخ وأغواره لآتى بالشواهد والأدلة وعلى موقف الغرب من المسلمين وتعامله معهم متأثرا بالماضى، بل إليك أمثلة من وقتنا الحالى فى عام ١٩٥٢ ،قال مسئول فى وزارة الخارجية الفرنسية [1]:

(إن العالم الإسلامى عملاق مقيد، عملاق لم يكتشف نفسه حتى الآن اكتشافا تاما فهو حائر قلق وهو كاره لانحطاطه وتخلفه وراغب رغبة يخالطها الكسل والفوضى فى مستقبل أحسن وحرية أوفر فلنعط لهذا العالم الإسلامى ما يشاء ولكن لنقوى فى نفسه الرغبة فى عدم الإنتاج الصناعى والفنى حتى لا ينهض فإذا عجزنا عن تحقيق هذا الهدف بإبقاء المسلم متخلفا ،وتحرر العملاق من قيود جهله وعقدة الشعور بعجزه فقد بؤنا بإخفاق الخطر وأصبح الخطر العربى وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة خطرا داهما ينتهى به الغرب وتنتهى معه وظيفته الحضارية كقائد للعالم) ٠

أرأيتم كيف يتحدثون عن الأمة الإسلامية ؟؟؟ أرأيتم إلى أى مدى لم يزل الماضى متجسدا أمامهم مسيطرا على تصرفاتهم وأقوالهم ، أرأيتم إلى أى مدى يدرسون ماضينا وواقعنا وقدراتنا وهويتنا ومشاعرنا وخلجات صدورنا ، ونحن غافلون ساذجون متبلدون ٠

إن العبارات السابقة - لا سيما آخرها تبين أن بقاء حضارة الغرب كقائد مرهون بعدم يقظة المسلمين أى بعدم تطبيق المشروع الإسلامى فى الحياة وأن مجرد تطبيق الإسلام سينهى حضارة الغرب الكاذبة فليس فيها أى مقومات للبقاء وسبب بقائها الوحيد هو عدم وجود البديل - فشأنها شأن إطار السيارة المنفجر الذى يبقى عليه السائق لعدم وجود البديل ٠

هذا عن الشواهد ، من أقوالهم ، أما الفعال ففيها الأدلة الساطعة القاطعة الدامغة على أن الغرب المسيحى واليهود يعاملان الأمة الإسلامية على أنهم مسلمون ونحن نفرح ونقول إننا عرب وأن لا دين فى السياسة ولا . . . ولا . . .

* * *

دلالة الواقع على هذه النظرة

ترى ما لدى الواقع من شهادة عن الموقف الغربى واليهودى منا ؟؟؟ .

يكفى إدلاءً بالشهادة موقف الغرب من الانتخابات التى جرت فى الجزائر، وتأهل للفوز فيها الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وأيضا حرب العراق ، وفى موقفه من البوسنة والهرسك ما يكفى للإدانة والإثبات .

فعندما أصبحت الجبهة الإسلامية للإنقاذ قاب قوسين أو أدنى من الفوز بالانتخابات فى الجزائر ،وقفت دول العالم الغربى - المنادى بالديمقراطية وحرية الشعوب - وقف جميعهم لوأد تلك الجبهة ، وطلبوا من الجزائر إلغاء الانتخابات ، ودعموا الحكومة الجزائرية فى ذلك وتوعدوا ووعدوا حتى ألغيت الانتخابات ودخلت الجزائر من يومها فى مأساة بشعة ، وألقى وزير خارجية فرنسا ونظرائه فى الغرب المسيحى ، تحذيرا من المد الأصولى الإسلامى ووجوب مقاومته ، ألم يحدث هذا ،ألم تتناقله جميع بيوتات الإعلام ؟؟؟

كذلك تقف حرب العراق، وما يوقع عليها حتى الآن شاهدا حيا، ودليلا بارزا على عداء الغرب للإسلام ، فلقد دمرت العراق فى معركة سميت عند الغرب المسيحى (الحرب الصليبية الجديدة) وأبيد العراق ، وفرض عليه القيود، فى الوقت الذى تنعم فيه إسرائيل فتاة الغرب اللعوب المدللة بكل المعونات والمساعدات رغم تكسيرها لكل قرارات مجلس الأمن بل استهزائها بميثاق الأمم المتحدة وبكل المنظمات الدولية .

فكل قارة توجد بها معارك ضد المسلمين ، ففى شمال العالم الإسلامى زاد الصراع بين الأرثوذوكس والمسلمين خصوصا فى حرب البوسنة، وبين

الصرب والألبان، وبين البلغار والأقلية التركية فيها، وبين الأرمن والآزار، وبين المسلمين والروس فى آسيا الوسطى، وبين المسلمين والهندوس فى شبه القارة الهندية، فكل هذه المعارك تؤكد أن الغرب المسيحى، يتعامل مع المسلمين وهو على ذكر وإدراك وتأثر بالماضى وأحداثه، فى حين نغفل عن ماضينا البعيد والقريب، بل عن شواهد الواقع الأليم ·

لا يخفى علينا الآن ما للماضى من أثر هام فى حياة الأمم - وإن كانت الأمم الأخرى تعلم ذلك جيدا - إلاَّ أن الأمة الإسلامية فى غفلة ، غفلة مقصودة يساعد فيها مسلمون وعرب يعيشون بيننا خاصة أنظمة الحكم كما سبق القول ·

* * *

نتائج غفلة المسلمين عن ماضيهم

ومن أسوأ نتائج غفلة المسلمين عن ماضيهم وإهدارهم له، وتركهم للإسلام وحضارتهم وثقافتهم، أن صار المسلمون أتباعا للغرب الذى يملك المشروع الحضارى الوحيد، وأصبح الغرب عندهم السيد الآمر المخطط المدبر، أما هم ، فقد وجدوا أنفسهم صفر اليدين ·

كذلك كان لغياب الماضى عن المسلمين أن اختلطت الأوراق فلم يعرفوا عدوًّا من صديق ، وانتظروا المساعدة والعون من أعدائهم، وراحوا يتوعدون ويحاربون ويعاونون فى تدمير أهليهم المسلمين دون أن يعوا أنهم فى حاجة للمِّ الشمل، وأن فى تفرقهم إضعافا للمشروع والوجود الإسلامى فى مواجهة الغرب المسيحى واليهود على حد سواء ·

فى كل بلاد المسلمين لا تجد انسجامًا بين أنظمة الحكم والأفراد ،بل نجد العداء ، ذلك أن الحكام ضد الموروث الحضارى الإسلامى لهذه الشعوب وعملهم الأول والأخير إبعاد المسلمين عن العودة إلى جذورهم وهويتهم ، ومن هنا تجد فى كل بلد إسلامى نظام للحكم يدعم كل ما من شأنه تشويه الإسلام وماضى المسلمين ، ويدعم كل ما من شأنه إلهاء المسلمين عن ماضيهم وعدم وعيهم له ·

ولما كان الماضى جزء من نسيج الأمم، فإن أنظمة الحكم هذه رغم ما تلقاه من دعم شديد من الغرب المسيحى واليهود، إلا أنها لم ولن تنجح فى فصل المسلمين عن ماضيهم، خاصة الإسلام كعنصر أساسى وهام فى ماضى المسلمين .

وكل المؤشرات تشير إلى أن الانسجام فى بلاد المسلمين بين أنظمة الحكم والأفراد لن يتحقق إلا عندما يطبق الإسلام ويسمح للمسلمين بممارسة حياتهم من منطلق كونهم مسلمين ، وأى مشروع يعرض على المسلمين متجاهلا ذلك، فسوف يبوء بالفشل الذريع لأن الإسلام ليس أفكارا نظرية تعرض على المسلمين للاستهلاك الذهنى وليس من البدائل والخيارات الطارئة التى تفرض لمواجهة الأحداث إنما هو شعور كامن فى نفوس المسلمين، وجزء أصيل من خلايا أجسادهم، وله بصماته الواضحة على دمائهم ، ومن مراجعة ماضى الأمة الإسلامية القريب والبعيد، يظهر الغرب المسيحى واليهود كعدوين أساسيين للمسلمين مهما لبسا من ثياب الضأن الوديع .

ويعد اليهود أكثر عداوة للمسلمين، وأكثر احتكاكا بهم ، حيث أنهم غرسوا فى الجسم الإسلامى، ووجودهم يمثل خطرا على الجسم الإسلامى، ومصالحهم تتعارض تماما مع مجرد وجود المسلمين .

ولقد شهد القرآن الكريم فى ذلك بقوله تعالى ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِن اسْتَطَاعُوا ﴾ (٢) .

فضلا عن أن تقليب صفحات الواقع والماضى القريب والبعيد ، يشهد بعداء اليهود الشديد للمسلمين ، ورغم أن هذا الأمر توافرت له مقومات الحقائق التى لا تقبل النقاش ، إلا أن أنظمة الحكم فى بلاد المسلمين تتعامل مع كل من اليهود والمسيحيين كأصدقاء أوفياء .

* * *

---

(١) المائدة : الآية رقم (٨٢) . (٢) البقرة : الآية رقم (٢١٧) .

ولعله من الضرورى الآن أن نبين الثوابت والمتغيرات فى ماضى الأمة الإسلامية العربية ·

بداية: إن الإسلام هو روح الأمة الإسلامية وجامعها ، وبه وحده صارت أمة لها استقلالها وذاتيتها وبقاء كونها، الأمة الإسلامية رهن ببقاء الإسلام فى حياتها عقيدة وشريعة ، وإذا ذكرنا أنه من ثوابت الأمة الإسلامية، يكون فى ذلك تجاوز كثير ، والسبب حصر الثوابت حتى يسهل احترامها فى كل نواحى الحياة ، أما الواقع فالإسلام له دور رئيسى فى وجود الأمة الإسلامية منطقيا وعمليا وعلى كل الموازين ·

(أ) فى مجال التشريع الإسلامى :

يأتى الإسلام على قمة الثوابت فى ماضى الأمة الإسلامية العربية ، ولا يقبل التغير، ويجب أن تدخل به الأمة الإسلامية الحاضر، وتخرج به للمستقبل دون تغير ·

يأتى الإسلام على قمة هذه الثوابت الإسلام كتشريع وعقيدة، فبدهى أن تثبت الأمة الإسلامية على الإسلام كعقيدة وإلا خلعت رداءها كلية وإنما نعنى ثبات الإسلام كتشريع ، فلا يجوز أن تجد الدعوات المحمومة المرتعشة السقيمة والتى تنادى باقتصار الإسلام على العبادة فقط أى صدى فى الأمة الإسلامية لأن ذلك يعنى دخولها الحاضر برجل واحدة وعين واحدة فلا تسلم من العرج والعوار ·

إن التشريع الإسلامى الذى يحكم شئون الحياة - الأحوال الشخصية، المعاملات المالية، نظام الحكم، الأخلاق، العادات، التقاليد - ثابت لا يتغير، ولا يعنى هذا جموده وقصوره، بل على النقيض تماما، يعنى كماله وملاءمته لكل العصور والبيئات ، وأولئك الذين يعيبون على الإسلام عدم أخذه بالعلم والتقدم، مستندين فى ذلك إلى ثبات الجانب التشريعى والأخلاقى فيه، هؤلاء اختلطت عليهم الأوراق حيث يعيبون أمرا استنادا لأمر آخر، وكان الإنصاف

يقتضى أن يقفوا مع كل جانب على حدة ، فأين الدليل على أن الإسلام يرفض العلم والاختراع والتقدم فى المستوى الصناعى والاقتصادى ؟؟؟ لا يوجد ولن يوجد دليل واحد على ذلك، بل شئون الحياة فى المجال الاقتصادى والصناعى والعلمى تدخـــل فى جانب المتغيرات وليس الثوابت ومن ثم تقبل التطور، بل إن الإسلام حضَّ على السبق فى هذه المجالات والأخذ بكل جديد وأوجب على أهله أن يتوصلوا إلى كل حديث بالعلم والقوة والسلاح وعمارة الأرض ، وغير ذلك .

إن مرضى القلوب ذوى النوايا السيئة وأصحاب المنهج الخاطىء معروفون، وإننا نريد تشريعا واحدا فى الإسلام لا يصلح للبشر الآن،أو يعوق تقدمهم وسعادتهم وسلامتهم لا يوجد ، ثم لماذا العجب والاستغراب والدهشة عند قولنا بثبات التشريع الإسلامى وصلاحيته لجميع البشر ولماذا لا نجد عجبا ولا استغرابا عند قولنا بثبات قوانين الطبيعة رغم عمق قدمها ؟؟؟

لماذا لا يستغرب أحد قولنا إن ذرة الفحم تجذب أربع ذرات هيدروجين منذ القدم وحتى اليوم ، بينما نجد الاستعجاب والاستغراب عند القول بأن التشريع الإسلامى صالح لليوم ؟؟

إن العقيدة الحقة لدى المؤمن تجعله على يقين تام بأن تشريع الله فى الطبيعة والكون لا يختلف عن تشريعه فى المعاملات والأخلاق وحياة البشر بل الثانى عنده يفوق الأول .

إن الإنسان الضعيف الذى لا يستطيع أن يعمل عقله فى سبب ثبات قوانين الطبيعة عليه أن يحترم حدود عقله أمام تشريع الله فى حياته خاصة وأن أدلة ثبات هذه الأخيرة أوضح .

مع مراعاة أن الثبات يتعلق بالأمور التى فيها نص من قرآن أو سنة، أما تلك الفرعيات التى سكت عنها هذا الدين العظيم وتركها للاجتهاد ،فإنه يشترط فيها ،ألاَّ تخرج عن روح الإسلام وأهدافه، وإن تغيرت بتغير المكان والزمان، والأمثلة على ثبات التشريع الإسلامى وتميزه بالكمال والشمول كثيرة

فى كل نواحى الحياة - فى الحدود والقصاص، فى مجال العلاقة بين العامل ورب العمل وأجور العمال فى الملكية فى نظام الحكم وحقوق الحاكم والرعية- فى كل هذه الأمور، تتعدد النظريات من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، ثم نجد الإسلام بوسطيته الملاذ الأخير والنجاة والكمال، وأن ما قاله هو نهاية المجتهدين والباحثين العقلاء المنصفين ٠

والثوابت فى المشروع الفكرى الإسلامى ، تتمثل فى ، ثبات المرجع، وهو : القرآن والسنة ، وثبات المكان المتمثل فى: مكة، قبلة المسلمين فى الصلاة والحج والمسجد النبوى الشريف وبيت المقدس ، ثبات فى وسائل المعرفة: علم أصول الفقه وعلم الحديث رواية ودراية ٠ ثبات معايير تقييم السلوك الإنسانى وفكره فكل فكر أو سلوك يقاس ويقيم عن طريق معايير ثابتة وهى ما يحقق من خير أو شر للأمة كلها ، ثبات فى المقاصد التى جاءت من أجلها الشريعة وهى الحفاظ على الشرع والعقل والصحة والنسل ، ثبات فى الهدف والمتمثل فى استباق الخيرات ٠

هذه الثوابت ومضات مضيئة فى حياة البشر، بغيرها يتخبط فى ظلام دامس وهى أيضا (إشارات مرور) تنظم رغبات ووسائل الإنسان بغيرها يصطدم ويتهشم ويتحطم ويدمر ويهلك ويهلك ٠

السير فى طريق مظلم يؤدى للخطر لا محالة ويحتاج لإنارة، وإنارته خير من أن يملأ بالحراس ، كما أن السير فى طريق مزدحم يحتاج لإشارات تنظم المرور وفى المشروع الفكرى الإسلامى فإن (لمبات الإضاءة)، (وإشارات المرور) هى الثوابت، وعند افتقاد هذه الثوابت ، كما حدث فى الغرب - وكما هو مخطط لنا - يصطدم الإنسان مع فطرته ومع روحه ومع رغباته ومع الآخرين، وتكون المحصلة صراع وصدام مع كل شىء، وتدمير وإهلاك لكل شىء، وهذا هو حال الغرب - رغم التقدم العلمى المذهل - الانتحار والاكتئاب والجرائم والدمار والخواء والفراغ وعدم الهدف وعدم السعادة ٠

(ب) فى مجال الأخلاق :

وتعد الأخلاق من الثوابت فى الإسلام ،فثبات الأخلاق أمر هام فى حياة الأمم بدونه تتشتت وتتمزق، فكل الحضارات التى سقطت فى التاريخ، لم تسقط إلا إثر الانحلال الخلقى ·

وفى المشروع الإسلامى لا يوجد خلق يقبل التغير أو يعود من وراء تغيره شىء اللهمَّ إلاَّ الدمار والهلاك ·

(حـ) اللغة العربية أحد ثوابت الأمة الإسلامية :

وتعد اللغة العربية من الثوابت فى ماضى الأمة الإسلامية العربية، ويجب أن تدخل الحاضر، وينظر للمستقبل فى ضوء الحرص عليها ، وإن كانت اللغة وعاء الثقافة ووسيلة الاتصال فإن للغة العربية فى الأمة الإسلامية دور يفوق دور اللغة فى حياة أمة أخرى ، ذلك أنها لغة القرآن وأى محاولة تهدف للنيل من اللغة العربية إنما تهدف إلى شـطب هوية الأمة الإسلامية وتضييع معالمها ·

وليس أدل على أهمية اللغة فى حياة الأمم من الأمثلة الآتية :

● **المثال الأول** : عندما رفضت اليابان التعديل فى لغتها من جانب الأمريكيين بعد ضربها بالقنابل الذرية، ورغم خضوعها لجميع الشروط الأخرى، وكان سبب رفضها تعديل لغتها هو حفاظها على شخصيتها كأمة مستقلة ،ولعل الفضل فيما وصلت إليه من تقدم يرجع لحفاظها على لغتها ·

● **المثال الثانى** : ما حدث عام ١٩٩٤ عندما أصدرت فرنسا تشريعا يعاقب من يتحدث بكلمات غير فرنسية فى الأمور الحياتية العادية ،وذلك بغرض الحفاظ على اللغة الفرنسية التى تعد عماد الأمة الفرنسية، وحدث نفس النقاش فى إنجلترا ،وإن لم يصدر به تشريع ·

ولا تقتصر وظيفة اللغة على الاتصال والتواصل فقط، إنما للغة دور هام وأساسى فى الفكر [١] ، فالفكرة ما هى إلاَّ كلمة، ولقد لاحظ العلماء أن العلاقة وثيقة بين مراكز العمل والكلام فى المخ ، فالكلمات فيها لبنات الفكر،

---

(١) الفكر واللغة : البعد الغائب فى قضية تعريب العلوم ، أ · د · سمير حنا صادق ، الأهرام ٥ / ٨ / ٩٤ ص ٩ ·

ولولا كلمات (سرعة وشجاعة ومخ وبخل وكرم) لما وجدت الفكرة التى تعبر عن هذه الكلمات ٠

وأكثر من ذلك التفكير كلام ، وكثيرا ما نشاهد من يفكر وهو يحرك شفتيه ولسانه، وكأنه يتكلم، ومهما بلغ المرء من إتقان للغة غير لغته الأصلية، فإنه عندما يفكر أو يحلم لا يتم إلاً بلغته الأصلية ٠

ومن ثم فإن قضية اللغة العربية والحفاظ عليها هام جدا ، حتى يستطيع العقل الإسلامى العربى أن يفكر ويبتكر ويتقدم فى شئون الحياة، وإلاً فكيف يتقدم الإنسان ويفكر ويخترع فى مجال ليس للغته فيها دور اللهم إلاً النقل فى أحسن الأحوال ٠

ومن يوم أن أصبح المسلمون العرب يدرسون الطب والعلوم بلغة غير لغتهم، لم نجد منهم مخترعا أو كاشفا أو رائدا فى مجال الفكر فى هذه العلوم، ومن الممكن أن نجد منهم من هو فى القمة فى جانب الممارسة ، وليس هذا لعيب فينا، بل فى الجدار الموجود بيننا وبين الفكر وهو جدار اللغة الأجنبية التى تدرّس بها هذه العلوم ٠

والأخطر من ذلك أن تنحية اللغة العربية عن مجالات العلوم الحديثة أدى إلى وقف تطور هذه اللغة، فأصبحت خالية من المصطلحات التى تناسب أفكار العصر مما جعلها حبيسة القرن الماضى، ذلك أن الفكر له دور فى اللغة، وكذلك للغة دورها فى الفكر، إن لم يكن الفكر هو اللغة ، واللغة هى الفكر ٠

ولما كانت العلاقة وثيقة بين الفكر واللغة، كان طبيعيا كلما وجدت فكرة أن يوجد لها مصطلح من هذه اللغة، وعندما أبعدت اللغة العربية، خلت من المصطلحات التى تناسب هذا العصر وأفكاره، ومن ثم كان هذا الفشل فى تطوير لغتنا وفكرنا ٠

ما بال الأمة الإسلامية تحارب لغتها من الداخل فضلا عن الحروب الموجهة إليها من الخارج، فالمدارس الأجنبية التى تملأ بلاد المسلمين ، واللغة العامية التى أصبحت وسيلة الشهرة، سواء فى الفن أو الأدب أو غير ذلك،

واحتكار الوظائف المرموقة لخريجي المدارس الأجنبية وكلياتها، يعد حربا على اللغة العربية، والثياب العربية الإسلامية، والتى لا تزال دول الخليج والجزيرة العربية ترتديها، تساعد فى تحديد الهوية الإسلامية دون جدال، وفى استقلال الذات العربية الإسلامية، ويحمد لهذه الدول الحفاظ على الشكل العربى الإسلامى حتى الآن.

ولا ينظر لأمر على أنه صغير وبسيط ، فكل أمر له دور فى تحديد الهوية الإسلامية ، واستقلال الشخصية الإسلامية، وذاتيتها يجب أن يلقى كل اهتمام.

• التأريخ الهجـــرى ودلالته على وجوب التمسك بالذات الإســـلامية والاستقلالية:

وإليك المثال : عندما اكتملت الدولة الإسلامية فى عهد عمر بن الخطاب جمع جلة الصحابة وفى جملتهم عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ﭬ وشاورهم فى أمر التأريخ الذى يحسن بالأمة الإسلامية أن تعتمده فى توقيت معاملاتها وتحديد زمان أحداثها وأعمالها، حتى تتميز وتستقل الأمة الإسلامية بذاتها ومنطلقاتها وسائر معطياتها عن الفرس واليهود والنصارى .

وبعد مشاورات عدة ، خلص الجمع إلى اتخاذ الهجرة حدثا للتأريخ والابتداء بشهر المحرم، وكان تعليل عثمان بن عفان ﭬ فى بدء السنة بشهر المحرم أنه شهر الله الحرام وأول السنة عند العرب وهو منصـــرف الناس من الحج [1] .

ليس هناك فى منطق بناء الأمم وتنظيمها مجال للمصادفات العابرة، بل اختيار حدث التأريخ للأمة الإسلامية، يدل على وجوب الاهتمام بكل صغيرة وكبيرة فى بناء وتنظيم الأمم .

وأن يطوع كل حدث أو عادة لخدمة تميز الشخصية الإسلامية العربية .

ليس هناك عفوية ولا مصادفات ولا اعتباطية فى تصرفات الأمم، بل كل

---

(١) الوعى الإسلامى عدد ٣٤١ المحرم سنة١٤١٥ هـ مقال: الهجرة نقلة حضارية » للشيخ « طه الولى » .

خطوة بحساب، وفى اتجاه محدد مدروس، ومرتبطة أولا وآخرا بالماضى، ومنطلقة منه وهادفة للاستقلال والذات ·

وما يحدث على الساحة الآن، هو امتداد طبيعى عقلانى، لما كان يحدث فى الماضى، وإن وضع الأمور جنبا لجنب، لا يوجد أى غرابة أو تعجب من تصرفات المسيحيين واليهود تجاه المسلمين، إنما العجب والاستغراب، سينشأ عن غفلة المسلمين عن ذلك وعدم توقعهم له ، وستبدو الصورة واضحة حتى لضعاف النظر والعجيب ألاَّ يراها المسلمون ، خاصة أنظمة الحكم فيها ·

* * *

ارتباط الأحداث المعاصرة بالأحداث الماضية

إن مؤتمر السلام الذى عقد فى مدريد منذ خمس سنوات ١٩٩١ بين العرب وإسرائيل فى حضور أمريكا لا يعد جديدا ولا غريبا إذا تذكرنا مؤتمر مدريد عام ١٨٨٠ والذى كانت مهمته تنظيم الامتيازات الأوربية فى الوطن العربى ·

وكل ما يحدث على الساحة الآن امتداد لمرحلة تقسيم العالم الإسلامى العربى، والتى بدأت - استؤنفت - عام ١٩١٥ باتفاق سايكس - بيكو ، ومع التسوية السياسية الإقليمية المزعومة الآن تسير حركة تقسيم الوطن الإسلامى العربى إلى دويلات قومية وطائفية ومذهبية متصارعة ·

التمزق فى لبنان ومصر والسودان وتركيا والعراق ، بسبب إثارة الخلافات العرقية والدينية ، وظهر على الساحة الآن - بفضل إعلام الغرب اليهودى- الكيان الكردى والسنة والشيعة والأقلية المسيحية فى مصر والسودان، وأخيرا (حلايب) التى جاءت فجأة إلى مسرح الحياة، لتفجر الصراع بين مصر وشقيقتها السودان ·

إن صراع الغرب المسيحى مع الأمة الإسلامية على أشده، فحركات التبشير وتمكين المسيحيين من الحكم فى دول معظم سكانها مسلمين، طرح

وفرز لهذا الصراع، والذى ينطلق من عاملين أساسيين ، هما: الاختلاف فى الدين والحضارة من ناحية ،والمصلحة من ناحية أخرى ·

ورغم أن مجال المتغيرات متسع ويشمل علاقة الإنسان بالطبيعة ومواردها والاكتشاف والاختراع والإبداع،ويمكن أن تتغير الصورة فى كل هذا حسب الزمان والمكان، إلاّ أن مرضى القلوب وذوى النوايا السيئة المأجورين للغرب واليهود ، يتركون ميدان المتغيرات وينخرون فى الثوابت ·

رغم أن تأخرنا وتخلفنا فى مجال العلم والتقدم والاقتصاد، سببه هو: المتغيرات وليس الثوابت، ولكن يحلو لهؤلاء تحطيم الأسوار الواقية للإنسان، فهم لا يجيدون إلاّ السير على الحدود،تاركين ميدان السباق لجبنهم وخوارهم ·

إن احترام الأمة لماضيها واحترام ثوابتها وعدم الاعتداء عليها ، يوفر لها الوقت ويفسح لها طريق التقدم والقوة ·

أما التغاضى عن الماضى وعدم الاهتمام به وعدم احترامه والاعتداء على ثوابته وتجاهلها ومحاولة إيجاد حضارة وثقافة جديدة بثوابت ومتغيرات جديدة، غير تلك التى كانت لها فى الماضى، يؤدى لتأخر الأمة عمرا طويلا عن مثيلاتها، حتى توجد لنفسها حضارة بثوابت ومتغيرات ·

كما أنها لا محالة ستركب قطار الانتحار والدمار، خاصة إذا كانت حضارتها الماضية بثوابتها ومتغيراتها صحيحة، مما يعنى أن ما سوف ينشأ، لن يكون صحيحا ، لأن ما يخالف الصحيح ليس بصحيح ·

وعلى فرض خيالى أن ما سوف ينشأ على خلاف الماضى سيكون صحيحا، فإن فى ذلك إهدار للوقت والجهد وتأخر عن ركب التقدم ·

* * *

الحـــــاضـــــر



١ - قراءة لحاضر الأمة الإسلامية :

إن منطقية تسمية الماضى والحاضر والمستقبل « بالمعادلة »، ينبع من التأثير والتفاعل القائم بين هذه العناصر الثلاث، فالحاضر فى حياة الأمة نتاج للماضى، فى جانب ،ومنتج للمستقبل فى جانب آخر .

وعلى هذا الحاضر أن يحترم ثوابت الماضى،وأن يجتهد فى مجال المتغيرات حتى يصل إلى أفضل صورة للتعامل مع الوجود كله، وصولا إلى عمارة الأرض وعمارة النفس .

ولو أن كل أمة عاشت حاضرها فى ضوء ماضيها ،ما حدث لأبنائها اغتراب ، فما واجب الأمة تجاه حاضرها وماضيها ؟؟؟

على الأمة أن تقف أمام الثوابت وقفة احترام وتقدير ، ولا يعنى هذا تقوقعا وانغلاقا لأن الثوابت بمثابة الأطر الرئيسية لفعالياتها ، وعند التدقيق سنجد أن الثوابت لا تتعارض مطلقا مع نشاط الأمم ، بل المساحة العريضة متروكة لحرية الأفراد وتقبل التغيير والتطوير والتقدم .

لكن الغريب والعجيب أن يكون هَمُّ الأمة وشغلها الشاغل التخلص من هذه الثوابت تحت دعاوى متعددة لا أصل لها ولا سند لصحتها من العقل فى حين تترك المتغيرات من ناحية ، ومن ناحية أخرى- وفى ذات الوقت الذى تهاجم ثوابتها - تنظر إلى طرح الغير وأفكاره الحديثة - والتى لم تثبت بعد صحتها - نظرة إجلال وتقدير وتقديس ، ولتنظر إلى الأمة الإسلامية أين هى من العلوم الطبيعية والتقدم الصناعى والاختراع التقنى الكونى ؟؟؟ .

أين هى من استغلال مواردها ؟ أين هى من نظم الحكم فى العالم التى تعطى الفرد حقوقه وتطالبه بواجباته دون محاباة ولا مجاملة ؟؟ .

إن مكانها وموقعها من هذا كله معلوم ومشهود ، فكيف بها لا يشغلها إلا إهدار الثوابت وتجريف القيم واجتثاث الهوية والتغريب للأفراد ومحو أصالتهم ، ثم ما هذه الدعاوى المحمومة الموتورة التى تلقى الرواج والدعم فى

الأمة الإسلامية رغم إفلاسها القيمى والفكرى والنفعى ؟؟ ولماذا تنصب المكايد والعداوات لكل دعوة تهدف إلى تعريف المسلمين بتاريخهم وبحقيقة الحاضر من حولهم ؟؟ .

إن واقعنا يشهد بوضوح وصدق على غفلتنا ويقظة الآخر ،وعشوائية تصرفاتنا وتخطيط الآخر، وقبل هذا وذاك دليل على أن الأمة الإسلامية يجثم على صدور شعوبها حكام وقيادات باعت للآخر كل شيء مقابل بريق الكراسى وزيف الوعود بالبقاء فيها مددا أطول .

ولو أن الأمر ترك للأفراد ليقولوا فيه قولهم، ما قامت لهذه الدعاوى الهدّامة قائمة، ولكن العون والمدد من هيئات الأمة الإسلامية ومؤسساتها، هو سبب بريقها الزائف .

خلصنا عند عرضنا لعنصر الماضى أن هناك ثوابت ومتغيرات، وأن الثوابت يجب أن تقابل من قبل الأفراد بكل إجلال وتقدير وتقديس، وأن تجتهد الأمة فى حاضرها بقدر ما تستطيع فى مجال المتغيرات .

وبينا أن اليهود يرتكزون فى وجودهم على ثوابت ماضيهم - وإن كانت حرفت - وأن الغرب المسيحى يبقى ويحترم ما أوجده لنفسه من ثوابت عقب التحرر من سلطان الكنيسة .

فما بال الأمة الإسلامية العربية تنهال بمعاول الهدم على ثوابتها وتتخلف فى مجال المتغيرات عند أسفل الدركات .

إن حاضر الأمة العربية الإسلامية يشهد بأمرين : -

● **الأمر الأول** : أن أعداءها نالوا منها كل شيء، فخربوا عقول أبنائها حتى ساروا ببغاوات لهم ومعاول هدم وسوس فى ثوابت الأمة، وهذا يؤكد أن أعداء الأمة الإسلامية على يقين أن فصل حاضر الأمة الإسلامية عن ماضيها من أهم وسائل تدميرها .

● **الأمر الثانى** : أن أنظمة الحكم فى أغلبها على خلاف طبائع الشعوب وإراداتهم ، ويفعلون بالأمة كل ما يريده أعداؤها وإليك البيان :

فى مجال الثوابت، كان شاغل أنظمة الحكم هدم هذه الثوابت، وكأنَّ لهذا الأمر وحده قامت وانتصبت ووجدت، فلما كان الإسلام كتشريع شامل

لكل نواحى الحياة أول الثوابت عند الأمة الإسلامية العربية، قامت أنظمة الحكم بالعجب العجاب، فنادت بما يسمى بفصل الدين عن السياسة ، ولم تجعل القرآن أو السنة مرجعا لما يتعلق بنظام الحكم أو فى شئون الأفراد ومعاملاتهم أو علاقة المؤسسات والهيئات بهم، بل إن مفردات هذه المسميات قد محيت واستبدلت بالشعب والديمقراطية و . . .

وتعالت الحناجر بما يسمى بالعلمانية وبالدولة المدنية لا الدينية والتنوير والتقدم والديمقراطية والليبرالية وارتفعت الأصوات الساخرة من أحكام الشرع الحنيف ، فاتسع الخرق والشرخ فى العلاقة بين أنظمة الحكم والرعية فى هذه الدول .

وأوجد الحكام لأنفسهم ستارا وسندا لاستنزاف موارد الدولة لصالحهم وذويهم ، وبدل أن ينشغل هؤلاء المتشدقون بتحقيق العدل وحماية الوطن، انشغلوا بإبعاد الدين والشرع عن كل ما يتصل بشئون الحياة حتى فى المسائل التى يوجد لها سند من الشرع الحنيف فى القرآن أو السنة لا يذكر ذلك بل تسند لدعاة الغرب من أمثال (منتسكيو - روسو - فولتير) . . .

فهل حدث هذا لعجز الشرع عن تسيير شئون الحياة، حاشا لله، فلم يسمح قط للإسلام بتسيير شئون الدولة ولو على سبيل التجربة والاختبار رغم تجريب كل الأنظمة حتى تلك التى يرقع بعضها بعضا ، وسخرت (ماسبيرو) ووسائل الإعلام وهيئة الكتاب ووزارة الثقافة لهذا الغرض الدنىء وهو فصل الدين عن شئون الحكم بل عن شئون الحياة .

* * *

(أ) إهدار الجانب الثابت فى الإسلام وعدم الاهتمام به :

(أولا) فى الحكم :

إن تشريع الإسلام لكل نواحى الحياة واضح جلى فهو منهج حياة ، وأوضح ما يكون فى نظام الحكم واختيار الحاكم وواجباته تجاه الرعية وحقوقه قبلهم .

ولم تعرف الإنسانية طعم العدل إلاّ على أيدى نظام الحكم المستمد من

النظام الإسلامى، والأدلة على ذلك كثيرة لا تحصى ، ويا ليت أولئك الأدعياء أتوا بدليل واحد على صدق دعواهم .

إن تشريع الإسلام لكل نواحى الحياة واضح، فالحاكم ينصب عن طريق الانتخاب والاختيار ،وهو ما يسمى بالمبايعة، فيجب أن يبايع الرعية الحاكم بحرية وإرادة ووعى ، ثم هو مطالب بعد ذلك برعاية شئونهم والذود عن الوطن وحماية الدين وله السمع والطاعة وأجر نظير عمله .

أنظر إلى أبى بكر عندما تولى الخلافة خطب فى الناس وقال : (أيها الناس إنى كنت أحترف لعيالى فأكسب لهم قوتهم، وأنا الآن أحترف لكم فاضربوا لى من بيت مالكم) فحددوا له أجرا .

ثم هو مطالب بالتسيير لمرافق الدولة، وبتوفير الحد الأدنى للكفاف لكل الرعية، حتى قال أحدهم - رضي الله عنه -: لو عثرت بغلة بالعراق لسئلت عنها لِمَ لَمْ تمهد لها الطريق يا عمر - رحم الله عمر .

ولا محسوبية ولا مجاملة: وحادث ابن النصرانى الذى ضربه ابن عمرو ابن العاص والى مصر فى عهد عمر بن الخطاب، معروف ومعلوم، عندما مكّن أمير المؤمنين ابن النصرانى من صلعة عمرو بن العاص، ولما قال الابن : إن الذى ضربنى ابنه وليس هو ،قال عمر : إنما ضربك بسلطان أبيه .

وعلى الرعية السمع والطاعة : لقوله ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا ولو ولى عليكم عبد حبشى » .

أليس هذا هو النظام الذى يصبو إليه ويأمل كل البشر على ظهر الأرض، وإن ابتكروا مفردات ومصطلحات من عند أنفسهم، لتعبر عن ذلك، فقالوا: الديمقراطية ... وغيرها ، فتعاملنا مع هذه الكلمات بكل القداسة رغم أنها ليست من قاموس لغتنا .

ثم أين هذه الديمقراطية فى دول الأمة الإسلامية ؟؟؟ إن النظام الملكى يدعى الديمقراطية، والنظام الجمهورى يدعى الديمقراطية، ودول السطو والقمع

تدعى الديمقراطية، وكل يتهم الكل بعدم الديمقراطية، والكل يفتخر بأنه يطبق الديمقراطية ، رغم أن دماء الشعوب تلطخ كل هذه الأنظمة فى جميع الدول الإسلامية ·

فأين الانتخابات الحرة التى يتشدقون بها ونسبتها معروفة مسبقة ٩٩,٩٩٪ ·

أين الاختيار الحر لرئيس الجمهورية وهو واحد من اثنين ملك عضود أو مرشح وحيد فائز فى كل الأحوال (سوبرمان) ·

لماذا تقطع ألسنة المعارضة - لاسيما الإسلامية - إذا كانت هناك ديمقراطية؟؟ ولماذا لا يسمح بوجود حزب إسلامى، إن كانت هناك ديمقراطية ؟؟- علما بأن هناك أحزابا دينية فى ألمانيا وإسرائيل وغيرها ·

وما حدث للجزائر واضح للعيان عندما اقتربت الجبهة الإسلامية بالفوز بالانتخابات ، ألغيت هذه الانتخابات، وصدرت القرارات بحل هذه الجبهة، وأصبح مجرد الانتماء إليها جريمة فى نظر أدعياء الديمقراطية ·

إذن واقع الأمة الإسلامية العربية فى هذه المسألة، مخالف تماما لما كان يجب أن يكون عليه، حيث لا يسمح للإسلام كتشريع بالتطبيق، ولا يسمح لمن ينتمى لجماعة إسلامية بمزاولة حقوقه السياسية ·

(ثانياً) فى الاقتصاد :

وفى مجال الاقتصاد ، قام اقتصاد الأمة الإسلامية العربية فى حاضرها على ما يناقض تماما ما كان يجب أن يكون عليه ، فالثابت فى هذا الأمر أنه لا أجر إلاً مقابل العمل ،ولا ربا ولا كسبا غير مشروع ·

وأنه يجب العمل على توفير الضروريات ثم الحاجيات ثم التحسينات - على حد تقسيم السادة علماء الأصول - لكن ما حدث غير ذلك، حيث الربا أساس اقتصادنا ومن ثم الضنك والهلاك نصيبنا ·

كذلك تملأ خزائن وجيوب أولئك الذين لا يعملون بسبب وساطتهم فى الأعمال ورشوتهم وقربهم من سدنة الحكم ، وأصبح الكسب غير المشروع

وحده هو مصدر اقتصادنا ، وأصبحت النوادى الليلية (الكباريهات) والملاهى والمواخير عماد اقتصادنا ، وولينا وجوهنا شطر التحسينات مع أن ثلاثة أرباع الأمة أو يزيد لا يجد الضروريات وكأن أجهزة الحكم والمؤسسات والهيئات فى دول الأمة الإسلامية العربية تعمل فقط من أجل توفير التحسينات والرفاهية لفئة ضئيلة من أبناء الأمة .

ويتنافس جل الناس على رغيف الخبز، ويصطفون فى طوابير طويلة لا آخر لها، فى حين الدعم والمزارع والهيئات، تعمل على توفير الفاكهة والمثلجات والشيكولاتة واللبان . . . وغير ذلك .

أليس هذا خطلا وخللا وعبثًا فى التفكير والتخطيط ؟؟؟ .

أين محمد بن مسلمة رسول أمير المؤمنين بن الخطاب إلى الولاة والأمراء، يراقب ثرواتهم فى ضوء إقرارات الذمة المالية، ويقتسم مع من زادت ثروته أمواله لبيت مال المسلمين .

أين الحاكم المسلم الذى كان يلقى الله عز وجل وليس فى بيته ما يجاوز بضعة دراهم أو دنانير، أين هذا من الثراء الفاحش لطبقات معينة فى المجتمع الإسلامى العربى والتى تعرف أسماءهم بنوك سويسرا، حيث يشم عندها رائحة العرق العربى الإسلامى، الذى يأكله الحكام وسدنتهم ويضعونه فى الخزائن هناك .

وهذا المفتى الذى يفتى بحق الدولة فى حرمان الابن الثالث من الخدمات المجانية فى الدولة ، هل نظر هذا المفتى إلى حق الدولة فى تقييد الملكية الخاصة الفاحشة وواجب الدولة فى مراقبة تلك (الكروش) المنتفخة من المال وحق الدولة فى مطالبة ذوى الثروات الفاحشة أولا برعاية أبنائهم من المال الخاص الذى يخصهم ، ثم بعد ذلك ينظر فى حق الدولة فى أن تمد سيفها ويدها على رقاب هؤلاء الفقراء المساكين .

هل يوجد فى الأمة الإسلامية العربية مبدأ تكافؤ الفرص ؟! لا يوجد سوى المحاباة والمجاملة والوظائف المحجوزة مسبقا ، إن المصروف اليومى لأحد

صبية سدنة الحكم ومنافقيهم يفوق دخل عشرة من الرجال الكادحين ليل نهار فى الشهر بكامله - بل يزيد - ·

العدل ثم العدل هو مراد الرعية فى أى نظام وأى مكان وأى زمان، ولا يعنينا المسميات والمصطلحات فى شىء ، **الثابت الأول** فى الأمة الإسلامية العربية لا وجود له،ومن ثم حق بها مكانها الآن فى ذيل الأمم، حيث إن الظلم والجور والفساد والكبت والاعتقال لا يولد إلاَّ الجبناء التعساء ضامرى العقل معدومى الضمير ·

(ب) المسلمون يهدمون اللغة العربية :

الثابت الثانى : فى تراث الأمة الإسلامية العربية، والذى كان يجب أن يحظى بالثبات فى حاضرها هو لغتها - اللغة العربية - ·

عرفنا أن اللغة لا يقتصر دورها على الاتصال والتواصل فحسب ،وإنما لها دورها فى التفكير والازدهار والإبداع ، فما بال الأمة الإسلامية العربية فى حاضرها تجتث هذا الثابت ،وتنخر فيه وتدمره، فتجد اللغة الأجنبية لغة الصدارة ولغة التعليم فى الكليات العملية - بل ويراد الآن أن تدرس فى جميع المراحل حتى الحضانات ، مما قصّر دور خريجى هذه الكليات على النقل لا التفكير والتبعية لا التقدم ·

ووجدت اللغة الأجنبية في المدارس الخاصة فى طول الأمة الإسلامية العربية وعرضها ، وأصبح شرط إجادة لغة أجنبية أساس للقبول فى عمل ، وأصبح خريجو المدارس الأجنبية هم الذين يحتلون الأماكن القيادية فى الأمة الإسلامية العربية بعد أن خربت عقولهم، ولم يبق لهم من رصيد سوى لسان (أعوج) ·

ومن أغرب ما حدث فى هذا المجال أن يصدر رئيس جامعة الأزهر قرارا بعدم القبول فى الدراسات العليا فى كليات جامعة الأزهر إلاَّ بعد تقديم شهادة (تيوفيل) وهى شهادة تعنى إجادة اللغة الأجنبية لمستوى متقدم ·

ترى ما سبب هذا القرار ؟؟؟ هل سيدرس الفقه والحديث والتفسير

والقرآن والتوحيد واللغة العربية والتاريخ باللغة الأجنبية ؟؟؟ وفى الوقت الذى تمنع فيه الدول الأخرى - فرنسا وإنجلترا - استخدام اللغة الأجنبية عليها فى الأمور الحياتية، بل تصدر تشريعات تعاقب على ذلك، فى هذا الوقت يحدث هذا فى الأمة الإسلامية العربية، وفى رحاب الأزهر الذى يعد معقل اللغة العربية ، لصالح مَنْ مثل هذه القرارات ؟؟؟؟

وإذا كان هناك مقتضى لذلك، فلماذا لا ينشأ قسم مستقل لذلك الغرض ويظل العمل متواصلا فى هذه الأقسام الموجودة ، حسبت أنه سيصدر قرارا يطالب بإتقان اللغة العربية لمن يقومون بتدريس المناهج النظرية فى كليات الأزهر، لا سيما وقد أصبح الضعف فى اللغة العربية الداء العضال المتمكن من الجميع، وعلى كل المستويات، ثم تروج بضاعة كاسدة بائرة بسبب دعم الدول الإسلامية لها - على المستوى الرسمى - هذه هى دعوى التنوير والحداثة ، فما هى الحداثة التى تراد ؟؟ .

* * *

الحداثة وهدم اللغة العربية

إنها تعنى هدم اللغة العربية والقضاء عليها، وإليك الشواهد على ما أقول :

● **الشاهد الأول** : فى مجال التحذير من الحداثة، وأنها دعوة هدامة يراد بها العداء والنيل من اللغة العربية ، مقال فى جريدة الأهرام بتاريخ ٩/٨/ ١٩٩٤ الصفحة الرابعة عشرة تحت عنوان :

(رأى فى قضية) مقال بعنوان (قصيدة النثر ٠٠ والدراما المزعجة) للشاعر أحمد غراب وهذا نصه: (لم يتعرض فن من فنون الأدب لمحاولات التشويه وطمس الهوية مثل ما تعرض له الشعر العربى المعاصر ، والعجيب فى الأمر أن الذين نصبوا أنفسهم حماة للقصيدة المعاصرة ، وتصدوا لقضية الشعر - كما يزعمون - هم أول من تغلغلت أظافرهم فى لحم القصيدة وبلا أدنى خيط للحياء ، ومرغوها فى الوحل وأضرموا النار فى ضفائرها الطويلة، ولم

يلبثوا أن أطفأوا بللور أعينها ، وما زال مسلسل التنكيل مستمرا فالرواية لم تكتمل فصولها بعد، ولا أحسب أن لحظة إسدال الستار سوف تأتى إلا وقد لفظت اللغة العربية رمقها الأخير ، فمن الخطأ أن نتوهم ولو للحظة واحدة أن الشعر هو المستهدف بالقتل كلا، وألف كلا فوراء الأكمة ما وراءها .. أنا لست متشائما ولكنى تعلمت أن أقرأ فى هسهسات الريح مخاض الزوابع، وأشم فى العشب الرضيع نيوب الأفاعى، لذا لا يخالجنى شك أن هذه الأصابع الشوهاء التى تطبق حاليا على عنق القصيدة، إنما تجرى تجربة أولى للقتل الذى تترقب موعده فى شبق مسعور، كى تخمد به أنفاس اللغة العربية ، وكيف لا، والهيئات الأدبية الوقورة وعلى رأسها مجمع اللغة العربية قد اتشحت بوشاح الصمت، وانزوت فى كهوف اللامبالاة تاركة السفينة التى ينخر فيها السوس مبحرة بلا ربان إلى شواطئ المجهول ، إذ لم يعد على الساحة غير العدم المنفوخ وغير الموتى وأسراب الذباب وطريق رمادى ملىء بالحفر تقطعه شاحنة مسلولة يقودها أعمى، هذا هو المصير الذى آلت إليه القصيدة المعاصرة ،وهو نفس المصير المظلم الذى ينتظر اللغة العربية إذا تركنا الأجواء لجوارح الحداثة، وأرخينا أجنحتنا فى دعة، وقنعنا بأن نرتدى مناقير حمامية، والمدهش أن مفهوم الحداثة فى كثير من الآداب الغربية يعنى العودة للجذور، والارتداد للمنابع الأصلية ولكنها هنا تعنى التدمير .. يعنى وضع الفأس على جزع الشجرة تعنى إغراق كل شىء، وإحراق كل شىء ، إذًا فلا غرابة فى أن يصير النثر شعرًا وتقام الندوات بما يسمى (بقصيدة النثر)، ولا غرابة أيضا فى أن يتشدق شاعر حداثى على صفحات مجلة أدبية بتحطيمه للغة، ورفضه القاطع للنحو والصرف ولشتى قواعد اللغة ، إنها سلسلة متواصلة من الدراما المزعجة التى بدأت (بأدونيس) ودعواه بنبذ التراث ورفضه كل ما هو قديم متعمق فى الأمة، وهى دعوى مشبوهة لا تصدر إلاَّ عن نبى كاذب، وللأسف تلقفها الأدعياء بذورا، وما لبثوا أن غرسوها فى تراثنا الثقافى ،وأخشى ما أخشاه أن تفرد سيقانها وتورق حتى تصبح أشجارا يصعب اقتلاعها) ، انتهى .

* * *

تدريس العلوم بغير اللغة العربية

● **الشاهد الثانى:** فى مجال ضرورة تدريس العلوم باللغة العربية والضرر المترتب على تدريسها بلغة أجنبية مقال فى جريدة الأهرام بتاريخ ٥/٨/١٩٩٤ م الصفحة التاسعة بعنوان (**الفكر واللغة ٠٠ البعد الغائب فى قضية تعريب العلوم**) للأستاذ الدكتور سمير حنا صادق - أستاذ التحاليل الطبية بجامعة القاهرة - يقول فى بدايته: (ناقش العديد من المفكرين والأساتذة الجامعيين الأوجه المختلفة لقضية تعريب تدريس العلوم ، ولقد كانت كتاباتهم فى هذا المجال واضحة وحاسمة، فالحقيقة - وقد مارس كاتب هذه السطور تدريس العلوم الطبية لما يزيد عن أربعين عاما - أن التدريس بلغة أجنبية يتسبب فى خلق حائط لغوى بين المدرس والطالب) ونظرا لطول المقال فإن تلخيص ما جاء فيه بعد هذه المقدمة يؤكد ويدل على وجوب تدريس العلوم باللغة العربية، لما فى ذلك من أثر على التفكير ذلك أن الفكر هو اللغة ٠

والغريب والعجيب أنه لا يؤخذ بكلام هؤلاء وأمثالهم، وهم أهل الأمر وأربابه ويؤخذ بكلام هذا وذاك من عارضى أزياء الدولة الثقافية - إن جاز التعبير ٠

إن شيوع اللغة العامية كلغة للأدب والفن والخطاب يهدف إلى تدمير اللغة العربية التى تعد أحد ثوابت الأمة الإسلامية العربية، والتى تشكل شعرة الوصل الباقية بينهم جميعا ، فإذا انقطعت سينفرط عقد هذه الأمة ٠

يشهد الحاضر أيضا بأن الثابت الثانى، والمتمثل فى اللغة العربية، لم يسلم من الاعتداء ومحاولة هدمه، مما يدلل على تخطيط وعدوانية الآخر، وسذاجة وغفلة الأمة الإسلامية العربية عن ماضيها بثوابته ، وقبل هذا كله يشهد بأهمية هذه الثوابت فى حياة الأمم، وأن تدمير هذه الثوابت هو الطريق الأكيد لتدميرها ٠

* * *

(حـ) إهدار معايير ضبط السلوك والفكر :

فرض النموذج الغربى

أما عن المعايير لضبط السلوك والفكر كأحد الثوابت فى الأمة الإسلامية - القيم - فلم يسلم هو الآخر من التجريف والتدمير ،وواقع الأمة الإسلامية العربية بعيد كل البعد عن هذا الثابت أيضا فلم يعد ، معيار ضبط السلوك والفكر فى الأمة الإسلامية العربية هو الإسلام ونظرته إلى الخير والشر إلى الجمال والقبح ، إنما وجدت معايير أخرى فى أغلبها تعنى مدى تقليد الآخر - لا سيما الغرب المنحل - فكل ثياب وعادات وتصرفات وآداب وفنون الغرب تمثل عندنا المثالية والقمة ،ويجب التمسك بها .

الرباط العائلى فى الأسرة ، ونوع الثياب وهيئته لم يعد للإسلام مرجعية فيها، بل سارت بيوت الأزياء فى الغرب (ودكاكين الموضة هى القائل الوحيد فى هذا كله ، حتى « حلقة الرأس ») .

وكل ما كان قبيحًا أصبح جميلاً، وما كان خطأ أصبح صوابًا ،انقلبت الأمور، والهدف هو القضاء على ثوابت الأمة الإسلامية العربية حتى تصير تابعة للغرب فى كل شىء .

ولم يكن هذا ناتجا عن توجة العقل الإسلامى العربى واقتناعه بالنموذج الغربى، وإنما كان ناتجا عن ضغط مارسته كل هيئات الدولة فى الأمة الإسلامية العربية، سواء مطابخ الإعلام،أو ما يذاع على الناس صباح مساء من مسلسلات وإعلانات ، بل وإصدار القرارات التى تحارب كل ما هو إسلامى فى فكر أو لغة أو ثياب وتعجب عندما يقال لك من حق الفتاة أن ترتدى ما تشاء حتى ولو ثياب عارية فاضحة فهذه حرية، ولا يملك أحد أن يتدخل فيها، ثم يقال فى نفس الوقت لا يجوز ارتداء النقاب ولا الحجاب ولا الجلباب ، لماذا لم يعمل مبدأ الحرية على مطلقه، ولماذا يعد العرى حرية والاحتشام جريمة يجب العقاب عليها؟؟؟

فتاة تريد أن ترتدى نصف ثياب، وأخرى تريد أن ترتدى ثيابا كاملة لا تظهر منها شيئا ، لماذا لا تترك الحرية للاثنتين على أسوأ تقدير ؟؟؟ أليست هذه هى حرية اللباس كما يقولون ، فلماذا تترك الأولى بل تشجع، بينما تحارب الثانية من قبل هيئات الدولة ومؤسساتها ·

وكان أغرب ما فى هذا الأمر ما أصدره وزير التربية والتعليم فى مصر وهو القرار رقم ١١٣ فى ١٧ مايو ١٩٩٤ بشأن الزى المدرسى للطالبات ونص على - بالحرف الواحد - (يمكن استبدال المريلة بقميص وجونلة بطول مناسب، ويمكن بناء على طلب مكتوب من ولى الأمر أن ترتدى التلميذة غطاء للشعر، ولا يحجب الوجه باللون الذى تختاره المديرية التعليمية) ·

وعندما سئل الوزير عن دواعى هذا القرار قال - كما قالت معه ترزية القرارات والقوانين - بأن الغرض توحيد الزى المدرسى حتى لا يشعر الطالبات بالفوارق الاجتماعية، وأيضا حماية للطالبات من فرض الحجاب عليهن، وأخيرا حتى تعود لولى الأمر سلطته ·

وإننى لأعجب كيف استطاعت هذه الكلمات الساذجة أن تخرج من الأفواه ،وكيف قبل قائلوها استخفاف العقول لهذا الحد ؟؟ ·

وهل كل ما يؤرق وزير التعليم ثياب الفتيات وهيئته ؟؟؟ ولماذا لم يشترط اللون الواحد فقط وكان يكفى ؟؟؟ ثم لماذا يترك قرار كشف الرأس للفتاة دون علم والدها، بينما لا ترتدى غطاء الرأس إلاَّ بطلب مكتوب منه،ولماذا لم يشترط القرار أن يقدم طلب مكتوب يوضح الهيئة التى يريدها ولى الأمر لابنته فى كل الأحوال - رغم أن الوالد سيرى ابنته فى كل الأحوال، اللهم إلاَّ فى خيال السيد الوزير ·

ولماذا كان الأصل كشف الرأس، وأن غطاءها يحتاج لطلب مكتوب من ولى الأمر ؟؟؟ أيهما أحق بالخوف منه أن تتعرى الفتاة دون علم والدها، أم أن تتحشم دون علمه ؟؟ أرأيت إلى أى مدى ينزعج الآخرون من كل ما يمت

لثوابت الأمة الإسلامية العربية بصلة ،ولا يراد أبدا أن تعود الأمة الإسلامية العربية إلى ثوابتها ،حتى ولو كانت بسيطة فى نظرنا ·

قارن هذا القرار وموقف عمر بن الخطاب من التأريخ للأمة الإسلامية، والذى سبق عرضه ·

فإذا كان موقف عمر فى التأريخ للأمة الإسلامية بحادث الهجرة يهدف إلى استقلال وذاتية الأمة الإسلامية، فإن هذا القرار المؤسف يهدف إلى محو الهوية وضياع معالم الاستقلال والتميز ·

ثم ترى اللجاجة والغوغائية فى مقالات الصحف، والتى تقول إن الدين ليس بالخمار وأن الجوهر وأن · · · وأن · · · خلط وخطل وخلل فى التفكير والتبرير ، المسألة تتعلق بغطاء الرأس هل غطاء الرأس واجب فى التشريع الإسلامى أم لا ؟؟ هذا هو محل النزاع، لا علاقة للجوهر ولا للأدب ولا للفهم بهذا النظام، وإن كان الخمار بلا شك دليل على الأدب وعلى الفهم والجوهر الحسن ، إن إدخال الأمور فى بعضها ومحاولة إثارة الزوابع والدخان حتى يمرر ما يراد مسألة لا يقوم بها إلاَّ العجزى الضعاف ·

* * *

٢ - نتائج إهدار الثوابت

(أ) التبعية وعدم الاستقلالية :

إن ثوابت الأمة الإسلامية ورموز استقلالها وتميزها هدف كل التصرفات المسيحية واليهودية وأنظمة الحكم العاملة لهذه وتلك ،حتى صار كل قرار هادف إلى النيل من هذه الثوابت ٠

فالأمة الإسلامية العربية عندما تخلت عن الإسلام كتشريع لها فى جميع نواحى الحياة ومنهجا للإنسان فى حياته فيما يتعلق بهيئته وطعامه وفكره واحتياجاته واهتماماته وغير ذلك، وعندما تخلت عن اللغة العربية كلغة أصلية فى التدريس والأدب وفى المؤتمرات والمناقشات ،وشجعت اللغات الأخرى على لغتها الأصلية، تكون قد دخلت حاضرها دون اتكاء على ماضيها، بل أهدرت ثوابته ،فصارت هامشًا للحياة ،وموضوعا للآخر لا طرفًا معه ٠

وعندما تركت أسسها ولم ترتكز عليها، وكان يجب أن ترتكز على أسس- شأن كل بناء - نجدها اختارت أسس الآخر ،واعتمدت عليها، وصارت عالة عليه، تابعة له ،ناقلة عنه ٠

ولم يوجد الثقل العربى الإسلامى الحضارى، فاخترقنا من أعماقنا ومسخنا لغيرنا واجتثت هويتنا وانسلخنا من أصالتنا وتراثنا وصار (الهامبورجر) طعامنا، (والجينز والجيب) ملبوساتنا والغريب أن هذا يحدث، وليس فى قلب أحد كره أو غضب إنما حب وعجب،ولا يعتبره أحد اضطرار بل يعد افتخار فما عاد للاستعمار حاجة فى عصرنا لجيش أو سلاح، وهل بعد أن نفكر بعقلهم ونتكلم بلسانهم ويشكلون أذواقنا وطعامنا حتى (حلاقة رأسنا) ويحددون أهدافنا هل بعد هذا يفكرون فى احتلالنا أو ليس ما نحن فيه احتلال ٠

إن الأمة الإسلامية العربية دخلت الحاضر وهى متنكرة لماضيها، نافرة منه، معادية له،فلم يعد لها ثوابت، ومن ثم لم تملك أهدافها ولم يكن

حاضرها دليل على استقلالها وذاتيتها، بل صارت تابعة للآخر مبهورة به، فعاشت عالة على الآخرين وخافت من كل شيء يبعدها عن هذا الآخر، والذى يعد فى نظرها أساس وجودها ، ولما كان هذا الآخر لا يريد لها الاستقلال والتقدم أغرقها فى سيل من التفاهات والرفاهية والبريق الزائف ولم يسمح لها قط بالاقتراب من أى شيء يعزز أصالتها ويساعد على وضوح هويتها ويؤدى لاكتفائها ذاتيا ، فلم تنشغل الأمة الإسلامية العربية بتوفير طعامها الذى تستورده من الآخر، مما يمكن سيطرته عليهـا ،ولم تسع للاستفـادة من علم أو تقدم فى مجال السلاح أو الصناعات المفيدة وكان كل حظها (الأتارى) والفيديوجيم (والموضة) وانشغلت بدعاوى عفا عليها الزمن ·

وراحت هيئة الكتاب تعيد طباعة كتب دخلت مقابر التاريخ، وتقبل أصحابها العزاء فيها من أمد بعيد وأعلنوا توبتهم وبراءتهم منها ·

وتعقد المؤتمرات والندوات لبحث الحداثة والتنوير والعلمانية وهبوط السينما وعدم الحصول على بطولات رياضية، وغير ذلك، فنتج عن هذا الوضع الأليم النتائج الآتية :

* * *

نتائج تبعية المسلمين للغرب

● **النتيجة الأولى** : الاغتراب ·· وهو نتيجة طبيعية ومنطقية وحتمية عندما تغفل الأمة عن ماضيها وكل عملها معاداة هذا الماضى ، ومهاجمته فينشأ أفرادها وكأنهم غرباء ·

فأولئك المتمسكون بماضيهم وتقاليدهم وثوابتهم، يصبحون أغرابا فى أمتهم، أغرابا فى أهدافهم ومرجعيتهم وقيمهم وثيابهم، وكل شيء حتى داخل الاسرة الواحدة ،يكتوى أفرادها بلوعة الاغتراب ·

أما أولئك المنحلون من ماضيهم وتقاليدهم وثوابتهم، فيكونون أيضا غرباء على الآخر الذى يستوردون مشروعه الحضارى والفكرى ليعيشوا عليه ·

● **النتيجة الثانية** : الضعف والتخلف ·· وتلكم أيضا نتيجة منطقية وحتمية لأمة تعيش عالة على غيرها تابعة له وموضوعا من موضوعاته فتصير مستهلكا لكل نتاج الآخر الفكرى والاقتصادى والعلمى ولن يسمح الآخر لها إلا بما يبقى على تبعيتها وهامشيتها ·

حتى لغتها لم يعد لها جدوى فمفردات حديثها اليومى، تكاد تخلو من لغتها تماما ، وتتحدث لغة الآخر الذى ترتبط بمشروعه، والذى يعد فى نفس الوقت مادتها الاستهلاكية اليومية سواء فى التحية أو العمل أو الطعام أو غير ذلك ، وحذفت من الأحلام والأهداف ما يخص العرب والإسلام، وصار وجود هذه الأنظمة المنسلخة من أصالتها وماضيها ،مرهون بالدخول من بوابة الرضا الإسرائيلية ·

● **النتيجة الثالثة** : الفشل فى المزاوجة بين الماضى والحاضر ·· فلم تستطع الأمة الإسلامية العربية، أن تزاوج بين القديم والجديد بحيث لا تتخلف عن التقدم وفى الوقت نفسه تحتفظ بذاتها واستقلالها ·

وإنما ألقت بنفسها فى أحضان الجديد فابتلعتها هوته الساحقة عن آخرها، ولم تبق لها ذات ولا استقلال ولا كيان، اللهم لولا آبار البترول وموارد المياه لولا هذا لدخلت كهوف التاريخ، ولم يعد لها وجود إلاَّ فى فاترينات المتاحف والمعارض ، وهذا مصيرها المرسوم ·

وأصبح الرضوخ الفكرى للغرب والتبعية الفكرية له تسمى الانتماء للعصر الحديث، وأصبح ذوى الذاكرة الببغائية الذين يرددون آخر صيحات الغرب هم قيادتنا الفكرية، وطفى على السطح كثير من الفقاقيع وأصبحت كلمة ثقافة تعنى أول ما تعنى العلم بالغرب وأحوال معيشته،وأصبح تقليد الغرب قمة التقدم والرقى ·

❊ ❊ ❊

ضياع معالم ذاتية واستقلالية الأمة الإسلامية

ضاعت كل معالم الأمة الإسلامية العربية، التوى لسانها، وحشى عقلها بتفاهات وبما يناقض الحقائق وباتت فى ليل طويل لا فجر له ، وكل صيحات اليقظة والتحذير دخان فى الهواء، وكل موارد الدولة الإسلامية مسخرة لمحاربة هويتها وثقافتها وأصالتها ،وتنفق على الإعلام الساذج ·

وعندما تمسك يداك أحد الجرائد التى تعد من مفرزات الإعلام الرسمى لا تجد فيها أى فكر – ولو فكر مضاد- إنما تجد تفاهات وأخبار الأراجوزات ، فى كل دول الأمة الإسلامية اللعب هو البطولة والنصر والفخر وعلى واجهة كل دولة إسلامية عربية يلمع ويلمع لاعبو الكرة والراقصات والبهلوانات ·

فى المجال الإعلامى تعمل مؤسسة الإعلام والصحافة جهدها، وتخرج يوميا كمًّا كبيرا من المجلات والجرائد الرسمية المدعومة كل الدعم من موارد الشعب وقوته ،فماذا يوجد داخلها وعلى صفحاتها ؟؟ ·

بإمكان كل إنسان أن يتصفح إحدى هذه الجرائد، ويجيب على هذه الأسئلة ، من تخاطب ؟ وماذا تريد ؟؟ وإلى ماذا تهدف ؟؟ ·

ستجدها تخاطب المخنثين من أبناء الأمة والمنحلين وكأنها وسائل تسلية وتلهية للسذج الفـوارغ ، فكـل صفحـاتها عن الموضة وصيحـاتها وعن (البهلوانات) وكل أخبارهم حتى مأكولاتهم ومشروباتهم وأتفه شىء فى حياتهم ويعد هذا سبق صحفى، ويوصف بأنه هام وخطير ثم يحتل لاعبو الكرة الجزء الثانى ·

وفى أحسن الأحوال قد يصادفك مقال يهاجم الإسلام ويوصف بأنه فكر وكاتبه مفكر، وهو كله هراءات وبإمكان أحد الطلبة أن يتبين قصوره ويكشف ستره ويفضح نوايا كاتبه وليّه للحقائق ·

ويتساءل المرء كثيرا بمرارة وحسرة وذهول لمن تنشر هذه المهاترات ؟؟ ومن يستفيد منها ؟؟ حتى تلك التى تتحدث عن الموضة وعن التسلية، كم من أبناء الأمة الإسلامية يستطيع أن يتابع صيحات الموضة وأسعارها فى جنون ووسائل التسلية أكثر فحشا فى الأسعار ، فضلا عما تسببه من ازدراء لصاحبها وضياع .

هل هناك عشرات الأفراد ؟؟ لن يتعدى الأمر عشرات الأفراد فهل يعقل أن تعمل صحف رسمية ينفق عليها من أموال الشعب لصالح عشرات الأفراد، فقط ، لو كان هذا الأمر شأن الصحف الخاصة ما كان فى الأمر غضاضة بعد إعمال مبدأ الحرية المشوه لدى قائليه .

وأصبح الطريق السريع للشهرة هو التطاول على الإسلام ومقدساته، فكل من يهلوث وينال من مقدسات الإسلام وقيمه وشخص الرسول الكريم أو من القرآن، من يفعل هذا يلمع ويزخرف ويقال عنه أنه مفكر عالمى وروائى كبير، ويرشح لجائزة نوبل،ويشجعه أعداء الإســـلام خاصة إنجلترا عدو الإسلام اللدود ،حدث هذا مع سلمان رشـدى ومع نجيب محفوظ ومع كاتبة بنجلاديش ، وصفحات التاريخ تنطق بذلك لكل من يقلبها ويقرأ فيها .

أما الإعلام المرئي والمسموع ،فحاله أسوأ ،فرغم أن له هيئات واتحادات يعمل فيها آلاف الموظفين يتقاضون مرتبات خيالية من دماء الشعب وقوته، إلا أنه لا عمل لهم سوى أن يفرضوا على الأمة الإسلامية المشروع الغربى المنحل، فيشيد بالانحلال، ويسخر من كل ما هو إسلامى أو عربى، ويوصف بأنه إرهاب وتخلف .

ومفرزات هيئة الكتاب ليست ببعيد ، والأصوات العالية الطافية على السطح ،معلوم جيدًا خوارها ومسخها وفراغها وببغيتها وغباءها .

والأصوات الحرة الجريئة معلوم مدى المضايقة التى تواجهها والتعتيم الإعلامى عليها والتجاهل التام لها ، والتحيز واضح جلى على كل المستويات هناك تحيز للنموذج الغربى فى كل شىء فى الثياب والتقاليد والأعراف والثقافة،

وأصبح الابن المتمدين المستنير هو من يبحث لأمه عن عشيق بعد وفاة أبيه أو من يحكى مع أمه عن ذكريات غرامها مع غير أبيه ويرتب للقائها به ، أليست هذه هى النماذج التى يعرضها الإعلام ويفرضها على الذوق والحس الإسلامى العربى ؟

* * *

٣ - كيف كان يجب أن يكون الحاضر لو احترمت الثوابت

لقد تم اختراق الثوابت والسطو عليها، ليس لتحقيق مكيدة أو هدف، إنما بدافع من السعار الجنسى والتقليد الأعمى والهوى الجامح لإشباع الشهوة من جسد الفتيات ومن أموال الآخرين والهروب من المراقبة والحساب، هذا عن الحاضر كما هو كائن، أما ما كان يجب أن يكون عليه لو دخلته الأمة الإسلامية العربية وهى تعى ماضيها بثوابته ومتغيراته ، هذا الحاضر كان يجب أن يحترم ثوابت الماضى ويغير ويطور فى الوسائل والمتغيرات ·

ففى مجال الإعلام المقروء والمرئى والمسموع، كان يجب أن يكون هناك اقتصاد فى اللغة والكلام بحيث يقتصر على ما يلزم للبيان وأن يستهدف الفضيلة والخير مما يؤدى للاستقرار والاستقلال والإبداع - الإبداع بحق - كانت الأقلام الصدئة والأفكار الشائهة العرجاء ستبتر وتعدم ولن تسمع إلاَّ كل كلمة تضىء وتدعو للعفة والطهر، فترتفع الرؤوس وترسخ الأقدام افتخارا بماضيها التليد وواقعها الضخم العميق فى جذوره ·

لن تجد ما يخدش الحياء، بل تجد مأوى لعقلك، ومجالا لفكرك، وحلا لمشاكلك وكان هؤلاء السفلة العراة الشواذ ، لن يجدوا غير السراديب تأويهم فى جوف الليل شأن الخنافس والصراصير والبعوض ·

وما كنت تشعر يوما بغربة بين أولادك وفى وطنك بل ستجد ما تقـرأه أو ستسمعه أو تشاهده ترديدا لذكرياتك ويربطك بالأماكن من حولك، ستشعر بالاتصال والتواصل واللقاء مع كل مكان فى وطنك ، وستجد أن نصائحك لأبنائك مطلوبة ومفيدة وتجاربك رصيدا لهم ·

كنت ستجد الأم تعى الأمومة وتشغل بأبنائها وبيتها لا بالموضة والسهرات ، وفى مجال الحكم ونظامه كنت ستجد العدل وهل بعد العدل شىء؟؟ وأين نحن جميعا من العدل ؟؟ وهل عطشنا الشديد له سبب سوى غياب العدل ؟؟·

كان الحاكم يتساوى بالرعية فى كل الأمور وأهله وحاشيته شأن الآخرين سواء بسواء، فلا إهدار للحقوق، ولا تقييد للحريات، ولا قمع ولا إهدار للمال العام ،ولا دعم للمهاترات والشطحات الفكرية المراهقة ،على حساب قيم ومبادئ التراث الإسلامى العربى ·

ويثور سؤال هام ··

ليس هذا تحيزاً للإسلام ؟

ربما يقول قائل أليس هذا تحيزا للإسلام بحكم أننا مسلمون ؟؟

ولماذا نأخذ على الغرب المسيحى وعلى اليهود تمسكهم بدينهم وانحيازهم له ؟؟

الإجابة عن الجزء الأول تنطلق من ناحيتين ··· الناحية المنطقية ·· والناحية النفعية ·

● **فمن الناحية المنطقية** : يعد المناداة بالعودة إلى تراثنا الإسلامى والتواصل معه وعدم الانقطاع عنه أو الانسلاخ منه أمر منطقى للأمة الإسلامية العربية من واقع ما أثبتناه من قبل من أنه لابد للماضى أن يؤثر فى الحاضر ولا يجوز لأمة- أن تتغافل عن ماضيها وإلاّ عدّ هذا إهدارا وبترا لفترة من حياة الأمة مما يؤدى إلى تشوه حاضرها ويتطلب وقتا طويلا وجهدا كبيرا حتى يعوض مما يؤدى إلى تخلف الأمة عن حركة الزمن، وتسبقها الأمم الأخرى وهذا ما حدث فعلا لأمتنا الإسلامية العربية وهذا ما نعانى منه ·

إن هذا الفارق فى العلم والتكنولوجيا بيننا وبين الآخرين نتاج أساسى لما أهدرناه وتغافلنا عنه من ماضينا، ولو ظل هناك تواصل بين ماضينا وحاضرنا واحترمنا ثوابت الماضى ولينا وجوهنا شطر المتغيرات وطورنا فيها لظلت لنا الريادة والأسبقية ، لكن حدث العكس تماما ،تركنا المتغيرات والوسائل ورحنا نهدر الجهد والوقت فى محاولة إهدار الثوابت وعدم التمسك بها فلم نقطع أرضا ولم نبق ظهرا ·

● **ومن الناحية النفعية:** فإن النهوض بالإسلام كمنهج حياة ينظم جميع نواحيها بشموليته وكماله يحظى بمرتبة الصدارة بين النماذج الأخرى القديمة والحديثة على السواء فالمناداة بالأفضل لا تعد تحيزًا بحال من الأحوال ·

ولا شك فى أفضلية الإسلام عن غيره، وكما يقولون الحق ما شهدت به الأعداء وأعلام الفكر الغربى يشيدون بالإسلام، ويقولون فى صراحة إنه الوحيد القادر على حل مشاكل هذا العصر ·

وتستمد أدلة هذه الأفضلية من النصوص الأصلية للأديان السماوية سواء القرآن أو التوراة أو الإنجيل لقد اشتملت هذه الكتب الثلاث - قبل تحريف التوراة ،والإنجيل - على بيان أفضلية وهيمنة الدين الإسلامى ·

كما تستمد من الواقع وما لقيه كل دين من هذه الأديان من تطبيق فى الحياة، فلقد كان الإسلام أكثر إسعادا للبشرية ومساواة بينهم والعدل بين الجميع، حتى أولئك المخالفين له فى العقيدة ·

وتستمد أخيرا من خلال البناء المحكم الشامل الكامل فى الإسلام لكل نواحى الحياة وبدقة وعدم تعارض ، ولك أن تقف مع نفسك وتفكر ماذا لو طبق الإسلام تطبيقا شاملا كاملا ؟؟ هل ستسعد البشرية بغض النظر عن الاختلاف فى الدين أو لا ؟؟

(أ) نظام الحكم فى الإسلام :

المشروع الإسلامى كامل متكامل ينظم كل نواحى الحياة تنظيما رائعا دقيقا لا يتعارض مع الفطرة السليمة ·

وأهدافه الأساسية هى حفظ الدين وحفظ العقل وحفظ الصحة وحفظ النسل وحفظ المجتمع ، وحفظ المال والعرض، الحكم فيه شورى ، شورى مقيدة بعدم الإضرار بهذه المقاصد السابقة فهى وسطية عادلة ·

الحاكم يختار ويبايع من قبل أهل الحل والعقد فى الأمة الإسلامية، فلا ملكا عضودا ولا شعارات خادعة براقة، ولا حكم بالسياط والقضبان والأغلال إنما حكم بالاختيار والمبايعة ثم هو فرد عادى من أفراد الأمة، ويضرب له راتب

من بيت المال ومسئوليته جسيمة أمام الرعية وأمام الله ، ليست مغنما وليست أبهة إنما هى مسئولية تحتاج لرجولة ورشد ، وليس هناك تقييد لمدة الحكم فى الإسلام، فما دام الحاكم صالح لممارسة الحكم، ولم يتعد الحدود، ولم يتطاول على الرعية، وتتحقق على يديه مصالح الدين والدنيا، فأى ضرر فى ذلك وما فائدة التغير فى هذه الحالة ؟؟

القضاء فيه يستند للأصول الثابتة والمساواة بين الخصوم فى كل شيء، حتى لو كان أحدهما أمير المؤمنين وما حادثة مقاضاة الإمام على لليهودى وما حدث فيها عنا ببعيد .

ووسائل الإثبات محددة وقاطعة لا مجال للتخمين ولا للظنون ، البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، مع تفصيل ليس هنا محله .

المسئولية تعطى لأولئك الذين لهم باع فى العلم والاجتهاد، فالحاكم عالم والقاضى عالم وأهل الحل والعقد علماء أجلاء، لا تزوير فى انتخابات، ولا رشاوى ولا واسطة إنما بالعلم وحده تكون المنزلة والمكانة .

لو عثرت بغلة فى العراق والحاكم فى المدينة لسئل عنها، لِمَ لَمْ يمهد لها الطريق ، وأى زيادة فى أموال أحد الولاة لابد أن يعرف مصدرها المشروع وإلا اقتسمها معه أمير المؤمنين لصالح بيت مال المسلمين ، لا هدايا فيه، فلا يجوز للولاة أو للموظفين أن يقبلوا الهدايا من أحد بسبب أعمالهم (فهلا جلس فى بيت أبيه وأمه فنظر يهدى إليه أم لا) .

أيد نظيفة وقلوب أنظف مما يشعر بالسكينة والأمان والأمن ويشجع على الإبداع ، الإبداع فى كل العلوم والمعارف عندما يشعر الإنسان بإنسانيته وقيمته ويعرف أنه مكرم وأن كل هذه المؤسسات والهيئات لخدمته وراحته ومساعدته فلابد أن يبدع ، ولك أن تقلب ماضى الأمة الإسلامية العربية وترى فى فترات العدل وتطبيق الإسلام، ماذا تحقق من إبداع فى كل نواحى الحياة فى الطب والطبيعة والهندسة والجبر والمعادن والكيمياء والفلسفة والفقه والحديث

والتفسير والاجتماع فى كل العلوم والمعارف حدث إبداع لا نزال نحن والغرب والعالم أجمع نعيش عالة عليه ٠

*** الاعتراض على عدم تنظيم الإسلام التداول السلمى للسلطة والرد على هذا الاعتراض :**

ورغم أن نظام الحكم فى الإسلام واضح جلى رائع ومبهر يحقق الترابط بين السلطة والمسئولية ،ويوائم بين الحقوق والواجبات، وينظم العلاقة بين الحاكم والرعية رغم كل هذا إلا أن العديد من الأصوات المسموعة والتى يقرأ لها على صفحات الجرائد تهاجم هذا الجانب بالذات فى الإسلام، وتقول بأن الإسلام والمسلمين لم يتركا تنظيم سياسى لتداول السلطة وتسيير مؤسسات الدولة السياسية - رغم أنهم يعترفون بالابداع الإسلامى العربى فى كل العلوم والمعارف - إلا أن نظام الحكم عندهم من جوانب القصور والتخلف فى الإسلام ويدللون على ذلك بتلكم الحروب والصراعات التى نشبت حول السلطة فى الإسلام ٠

وهذه الدعوى لا تسلم من إلخطل والخلل، وربما عن غير قصد لدى البعض وعن قصد وسوء نية وخبث طوية لدى الكثيرين ٠

فنظام الحكم فى الإسلام أيسر وأسهل فى التطبيق من تلكم النظم المعقدة والعرضة للتزييف والتلوين ٠

كما أنه لا يعد قصورا فى الإسلام عدم تشابه نظام الحكم فيه مع تلكم النظم المطبقة الآن ،سواء من حيث عدد المؤسسات أو اختصاصها أو تشكيلها ٠

فليس لدينا فى الإسلام مجال للتشريع من قبـل البشر سـواء حاكم أو رعية، ومن ثم لا مجال للمؤسسة التشريعية الموجودة فى النظم الحالية، ذلك أن المشرع عندنا هو الله من خلال القرآن والسنة ٠

ويتم التوصل للأحكام الفقهية لما يستحدث من أمور بطريق الاجتهاد ، وللاجتهاد شروطه ومقوماته ويقوم به السادة العلماء الأجلاء، وكل من توافرت

فيه شروط الاجتهاد من حقه أن يجتهد، فليس الأمر حكرا على طائفة معينة ولا يتم اختياره عن طريق الانتخاب، ذلك أن المؤسسة التشريعية فى النظم الحالية تتكون عن طريق الانتخاب، ولا يشترط فى أفرادها إلا إجادة القراءة والكتابة ومن ثم تكون فى مجموعها عاجزة عن بحث الأمور الهامة واستنباط الأحكام الدقيقة ، بل إن قارئ عدادات المياه يشترط فيه الحصول على مؤهل علمى معين، فكيف من يوكل إليهم أمر التشريع للدولة وتسيير الحكم فيها هل يكفى مجرد القراءة والكتابة ... والتصفيق، ثم إن الحاكم عالم مجتهد أو يستعين بمن توافرت فيهم شروط الاجتهاد ، والقاضى كذلك .

إذن المؤسسة التشريعية مع ملاحظة اختلاف معنى التشريع فى الإسلام عنه فى الدول الأخرى - والمؤسسة القضائية والمؤسسة التنفيذية تعتمد أولا وآخرا على توافر شروط الاجتهاد ومنها التقوى والنزاهة والعلم والحكمة وغير ذلك .

أما بالنسبة لعدم تنظيم الإسلام تداول السلطة سلميا فليس ذلك مأخذا على الإسلام ذلك أنه - كما قلنا من قبل - ليس هناك تأقيت لمدة الحكم فى الإسلام، فما دام الحاكم صالح جسمانيا ووظيفيا للقيام بمهامه، فلا جدوى من تغييره ولا مبرر للخروج عليه وتجب طاعته ، أما إذا فقد الصلاحية الجسمانية سواء بالوفاة أو العجز فإنه يعين من يخلفه عن طريق المبايعة ، وفى حالة فقدان الصلاحية الوظيفية بأن خرج عن حدود الشرع وتعدّى على الرعية، ففى هذه الحالة للرعية أن تعيده إلى جادة الصواب، فإن لم يعد أقالته، وبايعت من يخلفه .

وهذا بلا شك أفضل مئات المرات من التستر بمبادئ مزيفة مثل الانتخابات، والتى يكثر تزويرها، والتى أصبحت نتائجها معلومة مسبقا ، فما الجدوى من حاكم يفوز فى الانتخابات بنسبة ٩٩,٩٩٪ ثم هو لا يقيم الشرع ولا يعرف لنفسه حد ويده ممتدة على الرقاب والأموال ويهدر الحقوق .

كيف التعامل معه ؟؟ هل يتم حل هذا الأمر عن طريق الاحتكام للانتخابات ، والتى لن تسلم من التزوير بل ربما لا يسمح لوجود مرشح آخر

من الابتداء مما يعنى حتمية بقاء مثل هذا الحاكم فى الحكم، هل يعد هذا فضل وتميز بدعوى أنه تنظيم سلمى لتداول السلطة ·

الإسلام ينظم طريقه اختيار الحاكم ابتداء، وينظم طريقه تقويمه وطريقة إقالته ،وهو أمر يتناسب مع عدم تأقيت مدة الحكم فى الإسلام ·

أما عن الاستدلال بالحروب والصراعات التى دارت حول السلطة فى التاريخ الإسلامى ،فهذا الأمر يتعلق بطبائع البشر لا بنظام الحكم، ذلك أنه فى كل النظم هناك الصراع على السلطة، ولنرجع إلى كل بقاع الأرض من قبل مائة عام كيف كان يتم اعتلاء العرش والوصول للحكم ؟؟ لم يكن يتم ذلك إلاً عن طريق القتل والاغتيال حتى بين أفراد الأسرة المالكة ذاتها ، وكان الابن يغتال أباه والأخ يقتل أخاه وهكذا ·

وحتى فى هذا القرن ألا تعد الأحزاب السياسية نوعا من التصارع على السلطة ، والانقلابات العسكرية- التى كثرت - والثورات وقتل الحكام ألا يعد هذا صراع على السلطة ·

فى كل بلاد العالم من حولنا يتم الوصول للحكم عن طريق الانقلاب العسكرى أو الثورة أو الاغتيال - لا سيما الحكام العرب - وبعد أن تركوا الإسلام جانبا ·

إذن الأمر يتعلق بطبائع البشر لا بالنظام فى حد ذاته ، وفى الإسلام تعد الحروب والصراعات على الحكم ضئيلة جدًا إذا قورنت بمدة الحكم وهى ألف وأربع مائة سنة، والحكام الذين قتلوا ،قتلوا بأيدى اليهود والمجوس وأعداء الإسلام ·

(ب) الناحية الاجتماعية فى الإسلام :

وفى الناحية الاجتماعية هناك الحب والاحترام والتكافل والتعاون بين أفراد الأمة جميعا بين الغنى والفقير والقادر والعاجز ، ليس لك أن تنام شبعان وجارك جائع ، ليس لك أن تكتنز المال وتركب السيارات الفارهة، وتلقى

الطعام، وبجوارك من ينام على الرصيف لا يجد مأوى ولا ملبس ولا مأكل ، للفقير حق على بيت مال المسلمين حتى يتحقق له الحد الأدنى وهو سكن يأويه ودابة تحمله وخادم يعينه وزوجة ترعى شئونه ، وسطية وعدل، لا شيوعية بليدة تقتل المواهب ،ولا رأسمالية منحلة تدوس الآخرين دون مبالاة .

هناك أدب وحرمة للسكن ووجوب الاستئذان وعدم الاختلاط ، فلا تعود يوما فتجد من ينام فى بيتك مع زوجتك، ولا تدخل عليك ابنتك يوما وهى حامل من سفاح، ولا يصبح بيتك مقهى ليلى للضحكات والهلوسة، لكنه سكن لا يدخله أحد بدون استئذان، وهناك وقت للزيارة وحدود للتعامل، ولابد أن يكون ذلك فى وجودك .

ولتعرف عظمة هذا التشريع: اسأل من حملت أخته أو ابنته من سفاح، اسأله عن الذل والهوان والعار الذى لحقه، ولا يزال، اسأله أيهما أفضل أن يطبق تعاليم الإسلام وتحترم أم نتبع الفوضى والانحلال .

أدب فى اللباس فلا تجرح حياء الآخرين بعوراتك الظاهرة المجسمة .

أدب فى الطعام، أدب فى الشراب، أدب فى قضاء الحاجة، أدب عند البصق ، أدب عند التثاؤب أدب وانسجام مع كل شىء .

(حـ) الناحية الاقتصادية فى الإسلام :

فى الناحية الاقتصـــادية: لا جشـــع . . لا طمـــع . . لا غبن . . لا غش . . لا بيع على بيع . . لا خلف للوعود .

إنما هناك كتابة للدين وإظهار لعيوب السلعة ومجال رحب للاشتراط المشروع ،ولك الخيار ما دمت لم تفارق مجلس البيع .

رجولة فى التعامل، وصدق وصراحة لا يقدر عليها إلا ذوى النفوس العظيمة ، أما أولئك الذين يتلونون كالحراب ويمكرون كالثعالب ولا يعيشون إلا فى برك النتن والمستنقعات شأن الحشرات والميكروبات التى تأكل فى الأجسام لا

مكان لهم فى الإسلام كتشريع شامل لكل نواحى الحياة - اللهمّ إلا كمرضى يجب علاجهم ، وكل حيلهم وأقنعتهم وكهوفهم وسراديبهم مفضوحة مكشوفة، مما يشعر بالأمن والأمان ويؤدى إلى الإبداع - كما قلنا من قبل - الكلمة أمانة والسر أمانة ولا يخون الأمانة إلا منافق .

فهل تعد المناداة بالرجوع للإسلام كتشريع شامل ومنهـــج حيــاة، تحيز أو تعصب بحكم أننا مسلمون ؟؟؟ كلا وألف كلا ، إنما يعد صدق مع النفس ومع الأهل ومع كل بنى البشر صدق فى الاختيار وفى النصح .

وهل معاناة البشر الآن إلا من غياب هذه الأحكام العظيمة النافعة ،وهل يعانى البشر فى كل دول العالم إلا من عدم العدل وعدم المساواة ،وبسبب رشاوى الحكام والموظفين وبسبب الغش والكسب غير المشروع وامتصاص دماء الآخرين شأن السرطانات، وبسبب فساد الحياة السياسية فلا حقوق ولا واجبات مما يصيب الشعوب بالضمور والخنوع وعدم الإبداع - وأين هى إبداعاتنا فى هذا العصر ؟؟ لا شىء .

وهذا الوحل والنتن الجنسى والانحلال فى التعامل والعرى الفاضح وعدم التعاون وهذا السفاح واللقطاء الذين يملأون الملاجىء هناك والكنائس .

هل المناداة بالإسلام والعودة لتراثنا الإسلامى واحترام ثوابته تحيز ؟

لا يقول بذلك عاقل ،ولا يقول به إلا أرعن بليد تحكمه بطنه وشهوته .

* * *

٤ - لماذا نعيب على الغرب واليهود تمسكهم بدينهم :

أما الجواب عن الجزء الثانى من السؤال، وهو لماذا نأخذ على الغرب المسيحى وعلى اليهود تمسكهم بدينهم وانحيازهم له ؟؟

سؤال منطقى ، إذا كانت كل أمة مطالبة بأن تحترم المعادلة التى معنا وهى الماضى والحاضر والمستقبل والتفاعلات الناتجة عنها، فلماذا نعيب على الغرب المسيحى وعلى اليهود تمسكهم بدينهم وانطلاقهم من خلال الماضى ؟ هناك حقيقة ربما غابت عن البعض وهى أن الأديان السماوية الثلاثة كما جاءت من عند الله دون تحريفها أو فهمها فهما خطأ لا يمكن بحال من الأحوال أن تكون سببا فى الطغيان على الأرض أو الإفساد فيها، بل تتحقق إن اتبعت السعادة لبنى البشر لأنها من عند الله - وليست من محلات بيع الأوهام كما يقولون - ٠

هذه حقيقة أكيدة فهناك فرق بين الدين وبين الفكر الدينى ، الدين كنصوص ووحى لا يمكن بحال من الأحوال أن يتسبب فى تعاسة البشر ، أما الفكر الدينى فإنه عرضة للخطأ والصواب وليس هذا مبررا للاعتراض على الدين عندما يصاغ فى قوالب نظرية تصلح للتطبيق - إنما هو توضيح لابد منه حتى يمكن التعامل مع الشطحات الفكرية والدعوات الهدامة والإفساد فى الأرض تحت مسمى أنها الدين ٠

فهذا الذى يفعله الغرب المسيحى وتلك الدعاوى التى تنادى بها إسرائيل اليهودية لا تمت من قريب أو بعيد للدين المسيحى أو اليهودى بصلة ، فالأفكار التى تبيح أكل البشر وهتك الأعراض واستلاب الأوطان وإشعال الفتن والحروب لا يمكن أن تكون من عند الله ،وإذا قيست هذه الأفكار على نصوصها لتبين فداحة خطئها ٠

بعد بيان هذه الحقيقة نتساءل: هل ما لدى الغرب المسيحى الآن - ومعه أمريكا - وما لدى اليهود هو الدين المسيحى واليهودى ؟؟؟

❊ ❊ ❊

علاقة الغرب وأمريكا بالدين المسيحى

الإجابة عمّا لدى الغرب وأمريكا يسيرة واضحة، نطق بها الغرب ذاته، نطق بها نظريا وعمليا، عندما فصل الدين عن كل نواحى الحياة، ولم يبق عليه إلا داخل الكنائس وبصورة مشوهة منحرفة ·

فالعلمانية كمنهج فى الغرب يشــمل كل نواحى الحياة، ويعترف به رسميا ، تعنى عدم إدخال الدين فى أى شىء من شئون الحياة ، بل تعنى أيضا أن التعامل يكون مع الواقع فقط لا قيمة للغيب ولا قيمة لله والعياذ بالله ، إن الغرب المسيحى وأمريكا لا يعلمون شيئا عن الدين المسيحى، ولا يلتزمون به فى أى شىء من شئون حياتهم ، بل ولا يدعون ذلك إنما يعلنون فى صراحة ووضوح أن الدين داخل الكنائس فقط ، ناهيك عن أن ما لحق الدين المسيحى من تحريف وتغيير على مدى كل العصور كثير · · كثير ·

فمقررات الدين ألغيت من المدارس فى بريطانيا ،وينادى كثير الآن بإعادة تدريسها واحترام الأخلاق ·

أما فى أمريكا فإن أكثر ما يهددها الآن هو المد الأصولى المسيحى الذى ينادى بتطبيق الدين المسيحى فى الحياة الأمريكية ويحرم الإجهاض ·

هذا عن الغرب وأمريكا ليس لديهما دين أولا ،وليس لديهما مشروع حضارى يمكن الاعتماد عليه بما فيه من ثوابت ثانيا ، ومن ثم لا يعد تواصلا مع الماضى بل فترة بتر للدين المسيحى ومرحلة خلل وفوضى ، فهل يقام لهذه الفترة وزنا وتصبح الأصل بينما هى محض استثناء ونشاز ·

❊ ❊ ❊

إسرائيل والتوراة

أما إسرائيل فلئن كانت على خلاف الغرب وأمريكا لا تصرح بإبعاد الدين، بل على العكس تدعى أنها دولة دينية، وأنها تنطلق من خلال التوراة وتسير على هديها .

فإن التوراة لحقها من التحريف والتغيير الكثير، ولو طبقت كما نزلت، لأدت بأهلها وأتباعها للإيمان بالإسلام، وكان اعتناقهم الإسلام هو التواصل مع الماضى واحترامه ، أما الشره للدماء والصراع على المال وبيع الأعراض والتكالب على الأجساد وسرقة الأوطان ، كل هذه هى سمات المشروع اليهودى الآن .

ومن حيث المنطق فإن اليهود دخلوا الحاضر بماضيهم - وإن كان ماضيا محرفا - إلا أنه نفعهم كثيرا خاصة أنهم انطلقوا ولا يزالون من خلال ثوابت هذا الماضى، وإن كانت ثوابت عدوانية غير نفعية، لا لهم بصفة خاصة ولا للبشرية ككل، إلا أن عناصر المعادلة التى معنا روعيت عندهم والتفاعلات تمت فى أوساطها المناسبة، مما ساعد على تحقق نتائجها، والتى تتمثل فى رسوخ أقدامها واستشرافها للمستقبل من خلال مشروعها .

فالماضى عندهم ساعد فى الانطلاق نحو الحاضر، ولا يزال للماضى بصماته الواضحة على كل نواحى الحاضر فى إسرائيل وهو يعنى أن إسرائيل ومستقبلها واضح فى عيونها بأهدافه، ومخطط له بسبب احترام الثوابت فى المشروع اليهودى، ومن ثم كان المشروع اليهودى أقوى من المشروع الغربى الأمريكى، حيث أن المشروع الأخير لا ثوابت له، ومن ثم فهو فى تدهور وانحلال، شأن الأثواب القديمة التى تبلى من شدة الاستعمال، أو هى متغيرة دائمة التغير شأن المواد الاستهلاكية اليومية .

ويؤكد صحة ما نقول به استطاعة إسرائيل أن تمتطى ظهر الدب الأمريكى

وتقوده إلى حيث تريد لأن عينها مبصرة بينما الدب الأمريكى فى حالة غبش وبهتان وخلط وتخبط بسبب عدم وجود ثوابت لديه، لا ثوابت مرجعية، ولا ثوابت أخلاقية، ولا ثوابت فى الأهداف والمقاصد - مع ملاحظة أن استهداف الرفاهية والمتعة لا يكفى - لتسيير الأمم .

* * *

٥ - حكم الحاضر على المسلمين والغرب وأمريكا واليهود

الحاضر - العنصر الثانى فى المعادلة - يشهد وينطق بأن الأمة الإسلامية العربية أهالت التراب على ماضيها وتراثها، فلم تحترم ثوابته، بل كانت هذه الثوابت الهدف المباشر لكل معاول الهدم وطلقات التشويش، ودخلت حاضرها بلا أقدام، فصارت موضوعا للآخر، لا طرفا معه، وصارت مستهلكا أساسيا لكل نتاج وفرز الغرب الفكرى .

وتأخرت عن الآخر بقدر ما أهدرت من تاريخها وماضيها ، وصارت فاقدة للهوية ، اختلطت عليها الأوراق والمواقف، ونشأت فيها دعوات رسمية تحارب أصالتها وتراثها ، والسبب فى كل هذا هو غياب التراث بثوابته والتى من أهمها الإسلام كتشريع ومنهج للحياة .

* * *

على الغرب وأمريكا

أما عن الغرب وأمريكا فالحاضر يؤكد أنهم يلمعون بطلاء جديد براق لكن ليس له جذور ولا أصل، ومن ثم كانوا على خلاف مع المسلمين العرب تماما، فإن كان ما يعيب الأمة الإسلامية العربية إهمال الماضى والاعتداء على ثوابته فإن الغرب وأمريكا راحوا يلمعون الحاضر الهش والقشرة الخارجية، مما أدّى لبريق لامع جذاب عديم الصلابة والتماسك وسيسقط - بل يسقط الآن - فجأة ويتعرى الجسد الأمريكى ،فإذا بالنتن والجرب والجروح والتشوهات تملأه، وعندئذ ستكون خسارة الغرب وأمريكا أكثر فداحة من خسارة العرب الآن، لأنهم عند السقوط لن يجدوا أرضا تتلقاهم ولا ماضيا صلبا يبقى آثارهم - على الأقل - إنما سيغوصون إلى أعماق رمال متحركة، فتندثر كل معالمهم شأن روما قديما، والبرتغال وفرنسا حديثا .

* * *

على اليهود

أما عن إسرائيل كأمة، فإنها أكثر حظا من سابقتيها - المسلمون والغرب - ومن ثم كانت فى توسع وتقدم وإنجاز مستمر، لأن النتائج تأتى على قدر تفاعل عناصر المعادلة التى معنا دون محاباة ولا مجاملة، ولكن بسبب ما حدث من انحراف فى الديانة اليهودية وثوابتها، فإنها وإن كانت قوية من حيث التركيب الهيكلى إلا إنها شأن الأمراض السرطانية فى الجنس البشرى كله لا تحيا إلا على دماء البشر وحقوقهم فهى عدوانية بحتة ، ومن ثم مهما علا نقيقها ونعيقها، وحققت توسع مكانى فإن عمرها الزمنى لن يطول ·

وإن كانت نهايتها تختلف عن نهاية الغرب وأمريكا ،فبينما أسباب نهاية الغرب وأمريكا أسباب داخلية، ويدمر بعضها بعضا وتتآكل داخليا، فإن أسباب نهاية اليهود أسباب خارجية لما يزخر به مشروعهم من عدوانية لكل الشعوب - وسوف نفصل ذلك عند عرض عنصر المستقبل ·

* * *

على المسلمين

من خلال عرض عنصر الحاضر تبين لنا أن الأمة الإسلامية العربية هى النموذج الأقوى والأبقى فى العالم ذلك أن مقومات ومعطيات التفرد والريادة غير متوافرة لدى أى أمة سوى الأمة الإسلامية العربية، وبمجرد أن يطبق الإسلام كمشروع ومنهج حياة سوف تنكمش كل الانتفاخات غير الطبيعية، وستبتر كل الأورام السرطانية ومنها بلا شك الانتفاخ الغربى الأمريكى والورم اليهودى الخبيث ·

وليس فى هذا تناقض، فرغم ضعف الأمة العربية الإسلامية الآن إلا أن سبب هذا الضعف هو إهدارها للماضى بثوابته ومتغيراته، ويأتى الإسلام على قمة هذه الثوابت فلم يبق للأمة العربية الإسلامية شىء من إسلامها، اللهمّ إلا العبادة داخل المساجد والتى اقتصرت على كبار السن من ناحية، وعلى مجرد الأداء دون فقه من ناحية أخرى·

أما عن الشباب وما ينتظم فيه من جماعات، فإن كل جماعة تعد تمزيق للجسد الإسلامى، وكل فرد تستقطبه هذه الجماعات يترك فجوة وخلل فى جسد الأمة الإسلامية العربية وذلك بسبب أن كل جماعة تعتبر نفسها بناء اجتماعيا مستقلا بذاته، وأنه وحده الممثل للوجود الإسلامى، وينظر إلى جميع من سواه على أنهم تجمعات أخرى شاطحة الفكر أو منحلة الأخلاق وتابعة لهواها، فى حين كان يجب أن تشعر الجماعات الإسلامية بأنها جزء من مجموع كله مسلمون، وإن لزم الاستقلال التنظيمى فقط حتى ينسق وينظم ما تقوم به من أعمال إلاَّ أنه كان يجب ألاَّ يحس هذا الاستقلال أبدا، وألاَّ يتعدى هدفه، وألاَّ يؤثر على وحدة الجسد الإسلامى، إننى لا أقصد النيل من الجماعات الإسلامية، ولا أقصد أن أعيب على وجودها فى حد ذاته، بل يعد وجودها ظاهرة صحية دينية ، إذا سلمت من الشطحات والانطواء والازدراء للآخرين، فعلى مدى التاريخ الإسلامى كله، كانت توجد نخبة تقوم بالتوجيه والتعليم والتثقيف، لكن لم يحدث أن اعتبر هؤلاء النخبة أنفسهم كيانا مستقلا عن المجموع الإسلامى، ولا شهدوا من أنفسهم أى تمييز أو استعلاء، وفى الأوقات التى كان يحدث فيها هذا التجزؤ كان الضعف هو نصيب الأمة العربية الإسلامية، فإن الأئمة الفقهاء والمحدثين رغم اختلاف مذاهبهم وآرائهم، إلا أنه لم يستشعر أحدهم أنه هو الإسلام فقط، وما سواه متخبطين جهلاء، ولذلك أثروا الفكر الإسلامى، وقاموا بصحوة دينية، وأفادوا كثيرا المجتمع، وساعدوا على وحدته، أما الفرق التى كانت تشهد استعلاء ذاتها، وأن ما عداها لا يمثلون الوجود الإسلامى، وأنهم وحدهم هذا الوجود المسلم، لم يثروا الفكر ولم يزيدوا الجسد الإسلامى إلا نتوءا وتشوهات وضعفا، فالجماعات الإسلامية لتحظى بالقبول عند الله وعند بنى جلدتها عليها أن تعلم تماما بأنها مجرد معين ومؤازر للآخرين، وأن لهؤلاء الآخرين الحق فى إعانة هذه الجماعات ومؤازرتها، أى أن دورهم مجرد النصح فى الدين وقبول النصح فى الدين، وليس لهم بحال من الأحوال أن يعتبروا أنفسهم بتنظيمهم شأن الرسول

ﷺ وصحابته بين أهل مكة ذلك أن الوسط الذى تحيا فيه الجماعات الإسلامية وسط مسلم، أما الوسط الذى كان يحيط برسول الله ﷺ كان وسطا كافرا، ومن ثم بطلت المقارنة وفسد القياس، وقد يقول قائل إن دور الجماعات الإسلامية يجب ألاّ يقتصر على النصح فقط، إنما يجب أن تظهر ككيان مستقل يطبق الإسلام فى كل نواحيه ،وأن الجهر بهذا الاستقلال فى ذاته تطبيق فعلى للإسلام ·

ورغم الحماس الشديد الكامن وراء هذا القول إلاً أن القائلين به تناسوا أنهم فى مجتمع مسلم وليسوا فى مجتمع كافر فهذا القول يصدق فيما لو كان المجتمع المحيط بهذه الجماعات كافرا بالله، ولكن المجتمع المحيط بهم كله مسلم، كما أن السلطة الحاكمة مسلمة وهى وإن لم تطبق الإسلام فى الحكم، فإنها لا تقول بعدم صلاحيته أو تنكره، وهناك فارق بين الحاكم الجائر والحاكم الكافر اللهمّ إلاً إذا كان جوره يخرج من الدين، ثم إن النصوص صريحة - أحاديث شريفة - فى عدم جواز مقاتلة الحاكم والخروج عليه ،وإن كان يجب نصحه والصدع بالحق عنده أعظم الجهاد ·

ناهيك عن كل هذا فإن واقع الجماعات الإسلامية ذاته،والذى لم يقتصر على عمل النخبة من نصح وتوجيه، ولم يصل فى ذات الوقت مجابهة النظام الحاكم بكيان له من المنعة والذاتية ما يعد بديلاً مقبولاً لأنظمة الحكم،هذا الواقع بهذه الصورة يقول إن الجماعات الإسلامية عليها أن تراجع نفسها كثيرا وأن تعرف دورها بوضوح، وأن تعلم أن عليها التوجيه والنصح والمدافعة عن الحقوق - بالقول - وهذا يتطلب أن يكون سلاحها الوحيد هو العلم وحب الناس لها ، وما عيب على الجماعات الإسلامية سنده علاقتها بأفراد الأمة ككل وليس موقفها من الحكم فقط ذلك أن هذه الجماعات تغفل فى أغلب الأحيان عن دورها الرئيسى وهو النصح والتوجيه للأفراد والأخذ بأيديهم إلى الله وإلى الحق بينما هى فى أغلب الأحيان على ذكر بموقفها من السلطة فحسب، هذه الجماعات وأموالها ودعمها ونشاطها، يجب أن تحظى النواحى الاجتماعية لدى

الناس - بالنصيب الأكبر منه فتصلح ذات البين وتســـاعد فى المرافق العامة وترعاها وأن يكون هذا هدفا وغاية فى حد ذاته، وليس وسيلة للاستقطاب فى مواجهة السلطة ·

إن انشغال الجماعات الإسلامية بقضية السلطة أفقدها الدور الرئيسى لها وهو النصح والإرشاد والتوجيه والتعليم، وهذا واضح فى علاقة الجماعات الإسلامية بالأفراد الذين تتعامل معهم، حيث أنها لا تهدف إلى التعليم فقط، وإنما إلى استقطابهم، ولا يعد تعليم الأفراد نجاحا لها بل لا يعد نجاحا عندها إلا استقطاب الأفراد ·

* * *

المستقبـــــــــل

أهمية المستقبل وصعوبة التنبؤ به

لو كانت الحياة تقتصر على الأمس واليوم، لكان المتبلدون الكسالى، أحسن حالا من المجتهدين الكادحين، لكن هناك الغد والذى يحصد فيه المجتهدون ثمرات أعمالهم ·

فى حياة الأمم للمستقبل دور هام فى حاضرها، وعليها أن تتحرك فى حاضرها وهى مستشرفة المستقبل بقدر الإمكان، محددة أهدافها، واضحة خططها، حتى تكفل لنفسها دخول المستقبل، بكيانها المستقل ودورها القوى الفاعل فى التاريخ حتى تمثل كطرف على الساحة ·

وإن كان التقدم العلمى المذهل، وسرعة وجود البدائل والتحول السريع من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، يجعل التنبؤ بالمستقبل فى غاية الصعوبة والتعقيد ·

إلا أن ما نعنيه هنا هو الحفاظ على الثوابت أولا، ثم محاولة التقدم والتطور فى مجال المتغيرات ثانيا، هذا عن ناحية، ومن ناحية أخرى محاولة الكشف عن صورة المستقبل فى ضوء ما عرضنا له من عنصرى الماضى والحاضر، ومن خلال عرض المشروعات الفكرية الحضارية ·

* * *

المستقبل للإسلام

ولقد تبين لنا فى قوة الحقيقة - بسبب ما توافر من أدلة واستقراء للواقع - أن الأمة الإسلامية العربية، هى الأقوى والأبقى، وأن الإسلام بثوابته هو المنهج الدائم للحياة وأن ظهور الغرب الأمريكى على الساحة، مجرد انتفاخ غير طبيعى ليس فيه ثوابت، بل يتآكل داخليا، ويدمر بعضه بعضًا، كما أن الوجود اليهودى وجود عدوانى شأن الأمراض الخبيثة بسبب ما حدث من تحريف فى ثوابته حتى صار قائما على دماء البشر والعداء للجميع ·

من كل هذا تظهر عظمة وروعة وقوة وصلابة المشروع الإسلامى والأمة الإسلامية كقائد ورائد للحياة فى كل جوانبها، ويظهر أيضا الحل الوحيد لإنقاذ البشرية من نفسها والمتمثل فى الحل الإسلامى لكل نواحى الحياة، إن لحظات الركود والخمول التى تعيشها الأمة الإسلامية فى حاضرها ستنتهى لا محالة ذات يوم بسبب حاجة العالم كله للمسلمين، ولا أدل على ذلك من بقائه حتى الآن رغم كل العداء الموجه إليه، وكل الضربات والحروب التى تشن عليه سواء من الغرب المسيحى أو من اليهود، بل ومن داخل الأمة الإسلامية من قبل أنظمة الحكم فيها، فرغم أن العالم كله يعتبر الأمة الإسلامية العدو الأول والأخير، ورغم أن الإسلام ظهر منذ أكثر من ١٤٠٠ عام ورغم المخططات اليهودية والمسيحية ومساهمة الحكام العرب فى ذلك إلاَّ أن الإسلام لم يزل قويا مسموع الصوت يحسب له ألف حساب ويهابه الجميع .

ولقد تبين لنا أيضا من خلال عنصر الحاضر، أن بقاء الغرب وأمريكا فى مكان القيادة للعالم مرهون بعدم يقظة العملاق الإسلامى، وبعدم تطبيق النموذج الإسلامى فى الحياة، وبمجرد أن يطبق الإسلام كمنهج حياة سيذهب السراب الأمريكى الزائف ومعه الغرب ، وسيعرف العالم أجمع آنئذ أن حياته وسعادته فى الإسلام، وأن اليهودية مصاص دماء، ولن تجد اليهودية آنئذ معين ولا مؤازر بعد أن يفتضح أمرها ويظهر عداؤها للبشرية واعتمادها على الانحلال واكتناز المال .

* * *

علم الغرب وأمريكا بذلك ومخططاتهم لتدمير الإسلام

ولما كان الغرب المسيحى وأمريكا على علم بذلك جيدًا حيث أنهم الأعلم بضعفهم وعجزهم أمام الإسلام، لم ولن يتركوا فرصة ليقظة المسلمين ووحدتهم وعودتهم إلى تراثهم وأصالتهم، فاحتكروا التكنولوجيا النافعة، وأغرقوا المسلمين فى التفاهات واللعب والمتعة والرفاهية لا غير، وعقدوا المؤتمرات التى تحجم هذا العملاق، وتبقى على خموله وكسله وعدم قدرته- واستعانوا فى

ذلك بأنظمة للحكم عميلة لهم تقوم بتقويض واعتقال من يحاول أن يرفع صوت الإسلام أو يعيد المسلمين لأصالتهم وتراثهم، وأصبحت كل المعونات التى تقدم للحكام العرب، مرهونة بالقضاء على الأصولية الإسلامية ومن خلال عنصر الماضى أيضا تبين لنا أن الماضى والتراث الإسلامى جزء من نسيج الأمة الإسلامية لا يمكن بحال من الأحوال فصلها عنه، بل مهما بذلت المحاولات وأنفقت الدولارات وجندت الحملات الإعلانية، فلن تزيد الشعور الإسلامى إلا تأججا وحياة ، وهذا هو المشاهد بالفعل فلا تخلو جريدة ولا نشرة أخبار على مستوى العالم كله من ذكر الأصولية الإسلامية والخوف منها ٠

ولأن الغرب وأمريكا يعلمون ذلك ، وأمام التزايد المستمر للمسلمين سواء بزيادة النسل أو باعتناق الآخرين للإسلام - خاصة أعلام الفكر الغربى - أمام هذا كله لم يتراجع الغرب المسيحى الأمريكى عن مطالبة تحديد النسل فى بلاد الإسلام، ومحاولة وقف نموهم البشرى عند حد معين لا يتخطاه - تحت مسمى تنظيم النسل والتنمية - ولقد أنفقت أمريكا وحدها مبالغ طائلة على وسائل منع الحمل والتى تدفع بها إلى الدول الإسلامية مجانا ، فى حين تضن عليهم بالغذاء والأدوية الأخرى ٠

إن تبنى الغرب المسيحى ومعه أمريكا لمشروع تنظيم الأسرة - على حد زعمهم - وكل نفقاته وهى رهيبة، ليدل أبلغ دلالة على أن الهدف من ورائه هو تحجيم العملاق الإسلامى ، حتى يمكن الإبقاء عليه فى دور التابع لا غير ٠

ولكن ما يقلق الغرب المسيحى الأمريكى الآن ومعه اليهود هو بقاء مقومات الريادة لدى الأمة الإسلامية، فلم تزل الأخلاق فى مكانهم، ولم يزل الإسلام يملأ النفوس ويطبقه الأفراد فى كل شئونهم، وإن واجهتهم الصعاب من قبل أنظمة الحكم ، فكانت المحاولات المستميتة الدائمة بهدف فرض النموذج الغربى اليهودى على المسلمين والمتمثل فى فرض الثياب٠٠ فرض الانحلال٠٠ فرض التفكك الأسرى، وعدم بقاء معنى الأسرة، كما هو فرض الحرية بمعناها الشائه الشائن، والمراد هو تدمير الأخلاق لدى المسلمين حتى يسهل سحبهم وقيادتهم إلى المهالك ٠

* * *

المستقبل إذن بكل المقاييس والمعايير ومن جميع الجوانب للإسلام ، نعم الإسلام ، وعلى الأمة الإسلامية العربية أن ترجع لماضيها بثوابته، وأن تطبق الإسلام كمنهج حياة، حتى لا يدوم بها التأخر، وحتى تنقذ العالم كله من الدمار والهلاك، فلا بد أن تصمت تلك الهتافات الكاذبة التى تشبه أصوات أعطال (كلاكس السيارات) يجب أن تخرس هذه الأصوات التى تنادى بالحداثة والتنوير والعلمانية، وغير ذلك من الدعاوى التى ليس لها مجال فى أمتنا ولا تمثل سوى الاعتداء على ثوابت الأمة الإسلامية ومعلوم قطعا لمن ينعق هؤلاء ، ولحساب من يصرخون، ومن يلمعهم ويطليهم ومن ينفخ (كروشهم) حتى يطفوا على السطح ·

فالأبقى والأقوى هو الإسلام دون منازعة فى ذلك فمنهجه بوسطيته وشموله وكماله، هو الحل لكل معضلات العالم من حولنا ،وسوف تنهار كل الأنظمة وتفشل كل محاولات ترقيعها ويبقى الإسلام منتصرا عزيزا ،ولا يعنى هذا حتمية تفوق الأمة العربية، والتى هى الآن الأمة الإسلامية، إنما إذا ظلت الأمة العربية فى تخليها عن الإسلام وانحرافها نحو الانحلال وتحيزها للنموذج الغربى فقد يكون تطبيق المنهج الإسلامى من نصيب أمة أخرى تعتنق الإسلام وتطبقه وتسود به ، ربما كانت اليابان أو الصين أو الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها، فعندما يظمأ الغرب المسيحى الأمريكى، ويشتد عطشه لن يجد فى السراب الذى بين يديه ما يروى هذا الظمأ ولن يجد ما يرويه إلا فى الإسلام ، كما أن اليابان وروسيا والدول الشيوعية والتى لا تعتنق أيًا من الأديان ربما تلجأ ذات يوم للإسلام إن أرادت أن يدوم بقاؤها وأن تعالج مشاكلها يقول تعالى: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴾ [1] ·

وحتى تنهض الأمة العربية يجب أن تراعى ثوابت الإسلام وقيمه وأخلاقه ومقاصده فى كل تشريعات تحكم حياتهم، وحتى تتم المصالحة بين الشعوب والحكام، ذلك أن الدين الإسلامى كامن فى ضمير الأمة الإسلامية، وكما قلنا ليس مشروعا نظريا يعرض ويقبل الاختيار أو عدمه شأن البدائل الأخرى وإنما هو روح الأمة الإسلامية وكامن فى ضميرها ولن يقبل المسلمون

---

(١) محمد : الآية رقم (٣٨) ·

أى مشروع سلام أو صلح مع حكامهم، ما دام هذا المشروع يتجاهل هذه الحقيقة ولتتم المصالحة، فليعلن الحكام الآن أن الحكم لله فى كل نواحى الحياة، ويعيدوا المسلمين من غربتهم إلى دينهم، ومن شقائهم إلى مصادر السعادة لهم ·

أيضا يجب أن يراعى البعد الأخلاقى فى الفترة المقبلة: حتى لا يتحول الإنسان إلى وحش ضارى مع التقدم العلمى والتكنولوجى ·

فسعادة البشرية لن تتحقق إلاّ عندما يطبق مشروع يتمتع بالثوابت، ويشمل كل نواحى الحياة وهذا المشروع بثوابته غير موجود إلاّ لدى المسلمين وحدهم من خلال الدين الإسلامى، ومن ثم فالأمل معقود على من يطبق هذا المشروع الإسلامى فى كل نواحى الحياة ومع الله ·

وإذا حاولنا استشراف المستقبل وسبر كوامنه، فإننا يجب أن نبين أولا أن التنبؤ بالمستقبل الآن أمر فى غاية الصعوبة والتعقيد ويعد مخاطرة ومجازفة ليس إلاّ بسبب كثرة الاكتشافات العلمية والتكنولوجية وبسبب التقلبات الكونية والبشرية وهذا يعد فى نظرنا للمستقبل أمر محفوف بالمخاطر مما يوجب قصره على فترة وجيزة من ناحية، ومن ناحية أخرى اعتباره مجرد احتمالات ليس إلاّ ·

على الدول الإسلامية العربية ألا تتخلى عن سر قوتها وبقائها، وهو وحدة الدين الإسلامى، والذى يترتب عليه وحدة الهدف ووحدة المواقف ووحدة المرجعية ووحدة المعارف، ولا يتعارض هذا مع استقلال الحدود السياسية لكل دولة فوجود حاكم لكل دولة لا يتعارض مع الإبقاء على وحدة الدين بتوابعها السابقة، فالتنظيم السياسى للحكم ووجود حاكم لكل دولة لا يتعارض مع هدفنا ما دام هذا النظام الحاكم لم يحل بين الأفراد وبين منابع الوحدة، وطالما لم يقم هذا النظام ببتر الأفراد عن ماضيهم الإسلامى، بل على العكس تماما عليه أن يجتهد فى ربط وتوثيق الصلة بين الأفراد وماضيهم الإسلامى بكل ما يترتب على هذا من نتائج فالحاكم للدولة الإسلامية شأن الأمراء والولاة على الأقاليم فى عهد الخلافة ما دام هناك لقاءات مشتركة بينهم لاتخاذ القرارات الهامة ، وما دام هناك قبل ذلك وحدة فى المرجعية والهدف واحترام الثوابت والاجتهاد فى مجال المتغيرات ·

وكما أن كل حاكم مسلم عليه أن يعلم أنه عند رؤية هلال رمضان يجب الصوم وأنه ... و ... عليه أيضا أن يعلم تماما أنه عند التفاوض بشأن المقدسات الإسلامية وعند تسيير الشئون الخارجية لدولته، عليه أن يعلم أنه يجب ألا يتسبب عنها أى ضرر بالمسلمين وبالإسلام، وبالجملة بالثوابت التى عرضنا لها إنما عليه أن تكون مواقفه مؤكدة لها وتعمل على توعية الشعب بها .

فى التفاوض مع إسرائيل- على سبيل المثال - يجب أن يكون ماثلا فى أذهان المتفاوضين أن الخسارة الكبرى ليست قبولهم التفاوض ، إنما فى ما يحدثه التفاوض الفردى من شرخ وخرق فى رباط الوحدة الذى يجب أن يجمع بين مواقف عامة المسلمين وفى كل مكان .

المواقف يجب أن تحسب عند المسلمين من منظور عام للمسلمين ، ونظرة عامة شاملة لمواقف كل الدول الإسلامية، لا أن ينبع عن نظرة فردية أنانية طبقا لظروف كل دولة على حدة .

قرار رفع المقاطعة مع إسرائيل يجب أن لا ينفرد باتخاذه النظام الحاكم بكل دولة على حدة ، إنما يجب أن يكون الموقف الإسلامى موحدًا تجاه ذلك إمّا برفع المقاطعة وإمّا بالبقاء عليها ، المُهِمّ أن يكون القرار جماعى معبرا عن نظرة كل المسلمين، ومن ثم تتحد تصرفات عامة المسلمين ، أما التبعيض والتجزئة فهى أكبر خسارة لحقت بالدولة العربية الإسلامية، وفى المقابل أكبر مكسب ناله أعداؤها ، إن اتفاقات السلام الثنائية مع إسرائيل تعد قاسمة ظهر وحدة الصف العربى الإسلامى ، وأنها تعتبر أوضح تعبير عن أنه ليس هناك ثوابت لدى المسلمين فى مشروعهم الحالى، فلقد أدت هذه الاتفاقيات الثنائية إلى إهدار كل قيمة لجامعة الدول العربية، فلم يعد لها دور ولا سلطة ولا صلاحيات تمارسها، بل صارت أثرا بعد عين ، وشكلا لا مضمون له ، ولفظا لا معنى له ، وصارت كل دولة عربية تتخذ قرارها من واقع مصالحها - ظاهرا - وإن كانت فى الواقع تتبع ما تضغط عليها الدول الكبرى به ، لا سيما الدب الأمريكى، إن المعادلة التى معنا تؤكد لنا أن مستقبل الأمم يتحدد فى ضوء ماضيها وحاضرها وبقدر احترامها للثوابت فى مشروعها الفكرى بقدر ما يكون

لها ذات واستقلال فى مستقبلها، ووجود على الساحة، وفعل فى التاريخ، وطرف لا موضوع ، وعليه فإن حديثنا عن الغرب وأمريكا من ناحية ، وعن اليهود من ناحية أخرى، لا غرض له سوى أخذ العبرة وتطبيق المعادلة على الأمم المجابهة لنا، حتى تتضح الصورة، وحتى نتمكن من الحكم على مدى صحة هذه المعادلة، فلا يفهم أننا نحملهم وزر ما يحدث لنا، ولا نعتبر الغرب وأمريكا السبب فيما يحدث لنا، ذلك أننا لا ننظر للأسباب بحكم كونها مصدرا للضرر، ولكن نبحث عن سبب ما دفع الغرب وأمريكا لذلك ،وما جعلنا محلا وهدفا لكل الهجمات.

والسبب الذى خلصنا له على حد تصورنا - هو أن المسيحيين واليهود- على ذكر دائم بثوابت مشروعهم الفكرى والدينى، أما المسلمون ففى غفلة وتيه لا مشروع ولا ثوابت ولا متغيرات ، ومن ثم لا تحديد لصديق ولا لعدو ولا تحديد لأهداف ولا خطط .

* * *

نقد الرأى الذى يرى أن أمريكا نهاية التاريخ والحديث عن صراع الحضارات

وإذا كان البعض يرى أن المستقبل سيشهد صراعا وصداما بين الحضارات، والبعض الآخر يرى أن أمريكا هى الرجل الأخير فى التاريخ، ولن تتزحزح عن القيادة حتى نهاية التاريخ ، فإننا نرى أن الرأى الأخير شديد السذاجة، ولا يغاير رأى الشيخ توكل فى العمدة فى قصة الرصاصة ليوسف جوهر، وهو لا يصدق إلاّ فى حالة ما إذا كان يهدف إلى أن أمريكا بتفردها ستؤدى إلى هلاك ودمار العالم، **أما الرأى الأول** : فإنه يعبر عن حقيقة ولا يعيبه إلا أنه لم يشهد هذا الصراع والصدام إلاّ فى ضوء المستقبل فقط، وبعد سقوط الشيوعية، وذلك أنه وإن كان الأصل أن الحضارات والأديان يمكن - بل يجب أن تتعايش سلميا جنبا لجنب فإن ذلك مرهون ببقاء الأديان كما هى دون تحريف ولا تخريف، ولكن نظرا لما لحق المسيحية واليهودية من تحريف فإن صراعها مع الحضارات الأخرى - لا سيما الإسلام - قائم من يوم ظهور

الإسلام، ومستمر إلى ما شاء الله، بل هى فى صدام وصراع مع الفطر ذاتها وما كانت الشيوعية إلا إحدى مراحل هذا الصراع، فلقد كانت فى صراع وصدام مع شتى الأديان والحضارات ، وما نعنيه هو أن الحضارات والأديان فى صراع وصدام من يوم أن حرفت الديانة المسيحية واليهودية وسيظل هذا الصراع والصدام ما دامت السماوات والأرض وإن تبدلت وتغيرت أماكن وأوقات هذا الصراع والصدام، وكل ما حدث الآن بعد سقوط الشيوعية واشتداد أود اليهود هو أن المسيحيين واليهود لم يجدوا من المسلمين ما يمنعهم من كثرة الصدام معهم، ولا من الجهر به، وهذا ما يلاحظ الآن وهذا ما جعل البعض يرى أن الصراع والصدام بين الحضارات سيكون فى الفترة المقبلة ولا يراه هذا البعض فيما مضى من فترات، فهو صدام قائم ومستمر، وإن تغيرت الأثواب التى يرتديها، واللغة التى يتحدث بها، وعلى خلاف الرأى الذى يجعل من أمريكا الرجل الأخير فى التاريخ فإننا نرى أن الإسلام هو المنتصر .

* * *

تفوق الإسلام

والمستقبل سيشهد الولع بتطبيق المشروع الإسلامى، وسوف تنهار كل النظم أمام ثباته وكماله وتكامله وتفرده وانسجامه مع الفطر السليمة ، ولن يأتى هذا من فراغ ، ولكن سيساعد عليه العديد من العوامل التى تصعب حصرها فالعرض السليم للإسلام فى الغرب ولأهله ، وولع الآخرين بالتعرف عليه والصحوة التى تشهدها الدول الإسلامية، وما يحيق بالنظم الأخرى من انتكاسات وفشل هذه وغيرها من عوامل انتصار الإسلام، والأمر لا يتوقف على المصادفات، وإنما يتطلب العمل الدؤوب على التقارب بين الدول الإسلامية ومحاولة التوحيد فى المواقف وإيجاد هيكل عام يشملها جميعا - ولتكن جامعة الدول العربية بعد أن تعطى صلاحيات تكفل لها توحيد القرارات الإسلامية العربية واستقلاليتها واستهدافها لمصلحة الكيان العربى كله - إذا تحقق هذا- واحترمت ثوابت المشروع الإسلامى ، وكانت القرارات تعمل فى إطار هذه الثوابت سوف تسعد البشرية كلها ، وسوف تصبح الأمة الإسلامية العربية طرفا

فاعلا فى التاريخ ذا دور قوى ومؤثر وفى ظل التواصل والتشابك القائم الآن، سوف تستقطب الأمة الإسلامية العربية العديد من أبناء الأمم الأخرى بسبب ما ستناله حضارتهم من إفلاس، ولما سيجدوا فى المشروع الإسلامى من سلام وسعادة، أما إذا لم يتحقق هذا- لا قدر الله- فلن تخسر الأمة العربية الإسلامية فقط، بل سيخسر العالم كله الكثير والكثير ·

مع مراعاة أن الإسلام ذاته سيبقى ويجد مجاله للتطبيق الفعلى ولو على غير أيدى الأمة العربية، فإذا كانت الدول تتحارب بالسلاح، ويفوز الأقوى، فإن الحضارات بمناهجها ومشروعاتها الفكرية فى مد وجزر بين بعضها البعض، ويبقى المشروع الذى ينعم بالثوابت التى لا تتعارض مع بعضها ولا مع البشرية ومتطلباتها، ولقد بينا أن المشروع الإسلامى هو الوحيد الذى يحظى بهاتين الصفتين معا ·

* * *

دور الأفراد

لآحاد الأفراد دور هام فى حياة الأمة ، وهل الأمة إلاّ مجموع هذه الآحاد؟

فكل فرد بمثابة لبنة فى بناء يسمى « الأمة » ، ومهما كانت النظريات والمعادلات والقوانين التى توضع لنهوض أمة من الأمم، فإن الأمر يتوقف فى نهاية المطاف على وعى الأفراد وما يقدمون عليه من أفعال ·

ومهما بلغت أنظمة الحكم من السيطرة والتحكم والمراقبة والمتابعة لسلوك الأفراد، فإنه يبقى مجالا واسعا لحرية الأفراد بمنأى عن يد النظم الحاكمة - ذلك هو مجال المبادئ والقيم ·

ومهما بلغت أنظمة الحكم فإنها لن تتمكن من التحكم فى النوايا والأمور الخاصة وطريقة التفكير والأهداف والآمال ،مهما بلغت من التسلط والتطاول على الأفراد ·

فإذا أصر الأفراد على مواقفهم فإن الأمور تظهر واضحة للجميع حيث يصير نظام الحكم فى جانب ومجموع الأفراد فى جانب آخر ،والنصر لا محالة لصالح الأفراد ،حيث أنه لا سلطة بغير شعب ·

لكن الذى يحدث غالبا هو التغرير بالأفراد والاستخفاف بهم وإغرائهـم أو إرهابهم حتى يتحقق فى النهاية مسايرتهم نظام الحكم ، وهذا ما يبقى على وجود هذه النظم النشاز ·

إن الكلام الذى يكتب لغير المعنيين به ، يكون مصيره الإهمال ، وفى أحسن الأحوال مص الشفاه ونفخ الهواء ، والمعادلة التى معنا تخاطب الأفراد شأن الأمم سواء بسواء، وذلك لأن الأفراد أجزاء الأمة الواعية ، فالأفراد هم الأمة ،كما أن تطبيقها سواء من منظور عام - على الأمم - أو فردى على الأفراد - صائب فى الحالتين، وكل دراسة أو بحث يعنى بالنهوض بالأمم ومعالجة أمراضها، يجب أن يوضح للأفراد دورهم فى هذا ، وإلاَّ كانت هذه الدراسة شأن دخان الحرائق ينبئك بموقع الحريق لكنه لا يدلك على وسائل إطفائه ·

قلنا إن عنصر الماضى فى معادلتنا هذه يعنى المنهج بقيمه وثوابته ومتغيراته، وعرفنا أنه يجب ارتباط الحاضر به وإنزاله عليه وتطبيقه بحيث تحترم وتقدس ثوابته، ويجتهد فى مجال متغيراته، فإذا تحقق هذا كان العنصر الثالث وهو المستقبل واضح بثوابته ومتغيراته، واستطاعت الأمة أن تحدد أهدافها وأن تكون كل تصرفاتها خادمة لكل هذه الأهداف ·

والأفراد هم أساس الأمة، واحتكاكهم بهذه العناصر الثلاث دائم ومستمر ومن ثم كان عليهم أن يعوا أولا قيمة الارتباط الوثيق بين هذه العناصر الثلاث وأن يطبقوا الماضى على حاضرهم ثانيا، وأن تكون آمالهم وأفعالهم فى إطار هذا المنهج بثوابته ومتغيراته، فيجب أن يحترم الأفراد هذه الثوابت والمتغيرات التى تعرفت عليها الأمم فى ماضيها فيكون المرجع لهم هو الإسلام - الكتاب والسنة-- والمعيار الذى تقاس عليه الأمور هو منظور الإسلام لهذا الأمر وقيمته فيه ،وأن تكون الأهداف مباحة فى الشرع ، وخادمة للمنهج ·

للأفراد دوران دور منشأه وضعهم الهيكلى فى بناء الأمة ،والآخر منشأه حريتهم فى تسيير شئونهم الخاصة ·

١ - دور الأفراد من خلال وضعهم الهيكلى فى بناء الأمة :

فالدور الأول يتطلب من الأفراد التجاوب مع كل دعوة تحترم هذه المعادلة، أى تحترم ثوابت الماضى، وتعمل على دعم هذه الثوابت من ناحية، وعلى التقدم فى مجال المتغيرات من ناحية أخرى، فالمؤسسات السياسية والاجتماعية والثقافية حتى التى تتزىّ بالزىّ الدينى ، يجب على الأفراد ألا يدلفوا ورائها دون وعى ، ولا ينخدعوا ببريق لامع لها، ولا يقنعوا منها بشعارات جوفاء ،ولا يرضوا بما تقدمه من مصالح آنية سريعة إذا كانت لا تحترم المعادلة التى معنا فى جانبيها : الثوابت والمتغيرات، ولا شك فى صعوبة معرفة اتجاه المؤسسات والهيئات بسبب التلوين والتزين والخداع فى كل شىء ، إلاَّ أنه يجب بذل الجهد بقدر الإمكان، ومن ثم فإنه فى حالة الانتخابات فى المؤسسات السياسية أو الإدارية أو المهنية النقابية، على كل فرد أن يقف مع نفسه فى صدق ولا يعطى صوته إلاَّ لمن يرى أنه يحترم هذه المعادلة، ويحترم تراث هذه الأمة، ويحترم ثوابتها واستقلالها وذاتيتها، ويعمل على السبق فى مجال المتغيرات، فإذا لم يوجد وتعين على الأفراد أن يوجدوا من بينهم من يتوافر فيهم هذه الشروط، وليعلم الأفراد أن السلبية فى هذا الأمر والاكتفاء بنقد الجميع وكره الجميع ليس صوابا بحال من الأحوال، وذلك الذى يجتهد فى إعطاء صوته لمن يستحق ، أفضل بكثير من ذلك الذى يحجب صوته بدعوى أن الكل لا يستحق حتى ولو أخطأ الأول الاختيار .

كذلك بالنسبة للتعامل مع المؤسسات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية، على الأفراد ألاّ يشاركوا بأى جهد إلاَّ فى المؤسسات التى تحترم المعادلة التى معنا، فإن لم يوجد ، تعين على الأفراد إيجاد البديل، فمحلات العرى ومهرجانات الرقص والزمر وبطولات الورق والفن، يجب ألا تجد أى إقبال من الأفراد من ناحية، ومن ناحية أخرى، على الأفراد أن يوجدوا البديل السليم لها ، كذلك المؤسسات المالية والاقتصادية التى تعمل لتشويه الإسلام وتشويه التراث، والتى لا تحترم فى عملها الثوابت والمتغيرات التى تحدثنا عنها، يجب ألا يتعامل الأفراد معها ناهيك عن المشاركة فى إنشائها .

والمؤسسات التعليمية التى تشوه التراث وتجتثه وتنزع اللغة العربية من طلابها يجب ألا تجد الإقبال عليها، والمدارس والجامعات الأجنبية ودور الحضانة يجب ألا يتعامل معها الأفراد لأنها أخطر الأمراض فتكا بعقول أبناء الأمة وعزلهم عن تراثهم وماضيهم بل عزلهم عن أوطانهم وإن بقوا فيه بأجسادهم ·

٢ – دور الأفراد من خلال حريتهم فى تسيير شئونهم الخاصة

أما الدور الثانى والذى منشأه حرية الأفراد فى تسيير شئونهم الخاصة، فإنه يتطلب أن يكون الأفراد على ذكر دائم بثوابته ومتغيراته وإنزال ذلك على جميع وقائع الحاضر، ومن ثم لا يجمل فى عين الأفراد إلاَّ ما يراه الإسلام جميلا، ولا يقبح فى عينهم إلاَّ ما عده الإسلام قبيحا، وذلك فى كل شىء ففى الطعام عليهم احترام الإسلام والتراث فى ذلك ،فلا يجوز لهم تناول ما حرمه الإسلام، كما لا يحمد لهم اختيار نموذج الآخر للطعام على نموذج الأهل والتراث، فالمخدرات والمنشطات الصناعية وغير ذلك، والتى لا سبب للإقبال عليها إلاَّ تقليد الآخر فقط، يجب ألا يقبل عليها الأفراد، كذلك الثياب كل فرد وهو يختار ثيابه عليه أن يحترم تعاليم الإسلام فى ذلك والتزام حدوده فى هذا الشأن، ثم كذلك احترام الزى العربى الذى يرمز لاستقلال الكيان العربى، فالثياب التى تكشف العورة وتجعل الشباب أقرب للخنافس والوطواط من الإنسان، يجب ألا يقبل عليها الأفراد ،فالشباب الذى يقبل على القبعة، فى حين يسخر من الخمار ،والذى يقبل على الثياب المجسمة الضيقة، ويسخر من الثياب العربى، والذى يختار الألوان المتخبطة على الذوق العربى الهادئ ،هذا الشباب يقضى على تمييز واستقلال الذات العربية، ويزيد فى تبعية الأمة وخضوعها لنموذج الآخر، ولا عجب فى ذلك فكل أمر له أهميته وليس هناك أمر بسيط وغير بسيط ما دام هذا الأمر له أثر فى استقلال وتمييز الذات العربية الإسلامية، كما يجب على الأفراد عند بناء المساكن الخاصة بهم، عدم تقليد الآخر عن عمى وغير تبصر، بل يجب تفصيل النموذج الإسلامى العربى عن غيره سواء فى المظهر الخارجى للبناء أو فى زخرفته أو المواد المستخدمة فيه،

يجب أن تكون من أرض الوطن حتى تشعرك بالأنس والانسجام معها، ولا يعنى هذا عدم الاستفادة من العلم فى هذا المجال ذلك أن العلم فى حد ذاته ليس حكرا على أمة من الأمم، وليس فى ذاته علامة تميز أمة عن أخرى، وإنما يمكن استخدام العلم فى صنع ما يدل على الشكل الإسلامى العربى ·

كذلك الأثاث فى المنزل وغير ذلك، يجب ألا يكون تقليدا للغرب، بل أن يكون بالهيئة والكيفية التى تدل على الذات الإسلامية العربية ·

وأن يقف الأفراد بوعى فى وجه الدعاوى التى تهدف لاستلاب مشروعهم واستقلالهم وذاتهم ، إن الفرد هو وحده بناء الأمـــة وكل نجـاح أو فشل فى حياتها سببه الأفراد، لذلك كان على نظم الحكم فى الدول الإسلامية العربية أن تعنى به وأن توضح له أهمية الماضى بثوابته ومتغيراته فى حياة الأمة ، إذا هى أرادت أن يكون أفرادها لبنات بناء فى المجتمع لا معاول هدم، ثم على الأفراد أن يحترموا ذلك على الوجه السابق إيضاحه ·

* * *

خاتمـــة

يعد من الضرورة بمكان أن تأتى إثر كل دراسة أو بحث خاتمة تتضمن النتائج التى كشفت الدراسة عنها، وليس بلازم أن تأتى النتائج وليدة الدراسة بعيدة على العقول والأفهام قبلها، إنما يكفى أن تكون هذه النتائج بعيدة عن الشعور والوعى العام، فتأتى الدراسة لتصنع هذه النتائج فى بؤرة الشعور والإدراك، ولمَّا كانت المعادلة التى معنا لا خلاف حولها ولا يجهلها أحد، فإن نتائجها أيضا من ذلك النوع الأخير، ومن ثم يقتصر عملها على وضع هذه النتائج فى بؤرة الشعور والوعى العام .

● **وهذه هى النتائج :**

– الماضى له ضرورته وأهميته فى تشكيل حاضر الأمة وثقافتها وإرادتها وأهدافها، ولا يعنى ذلك حتمية معينة ، لأن الإنسان – وهو وحدة بناء الأمة – لا يمكن أن يكون معطيا من المعطيات التاريخية بل هو ذات فاعلة فى التاريخ .

– إدراك الماضى إدراكًا واعيًا ضرورى لمعرفة الطريق القويم – معرفة العدو من الصديق – ومعرفة كيفية التعامل مع كل حديث وجديد، فالتزاوج بين الماضى والحاضر واستيعاب دروس الماضى والاستفادة منها وتحديد مكانة الماضى فى الحاضر ضرورى، حتى يتم الانطلاق نحو المستقبل ، وبغير ذلك تعجز الأمة عن دخول الواقع بأبعاده .

– إن نسيان الأمة لماضيها ،يجعلها موضوع وطرح للتاريخ، ولا تعد طرفا فاعلاً فى التاريخ، لأنها بفقدان الماضى – المنهج – فقدت ذاتها وصارت موضوعًا لا غير ، فى حياة الأمم – شأن حياة الأفراد – لا يعرف العدو من الصديق إلاَّ من خلال أحاديات الأيام التى مضت وسالف الوقائع والأحداث ، والأمة الإسلامية العربية يجب أن تعى ماضيها فتعى أعداءها وأصدقاءها، ولا يليق بها أن تقف أمام حالات النصر فى تاريخها لتشيد بها، ثم تطوى الطرف خجلاً عن لحظات الهزيمة – بل الأعجب أن تسقط هذه اللحظات من تاريخها –

فتنشأ الأجيال وهى لا تعلم شيئا عنها، إلاّ ما كان قد تسرب إليها من إشاعات وأحاديث غير واعية وغير موثقة وغير دقيقة، مما يترك فجوة فى الفهم العام لتاريخ الأمة .

- الحروب الصليبية وما تبعها من احتلال صليبى لمدة تقارب قرنين ، وانتصار المسلمين على المسيحيين، بل - وأكثر من ذلك- فتح القسطنطينية ومن خلال فتوحات المسلمين بقيادة الأتراك للدول الأوربية، كل ذلك أدّى إلى ترسب نوع من الكره والبغض والضغينة لدى الغرب والمسلمين على السواء ،وإن كان المسلمون عندما حققوا النصر بقيادة صلاح الدين الأيوبى تغافلوا عن تلكم النوايا المبيتة والأحقاد الدفينة لدى الغرب، فلقد دالت الأيام ودارت وولدت الليالى الحبالى مآسى وفواجع كان أكثرها مرارة ضياع المسلمين من التاريخ والاستعمار الغربى الأوروبى لكل الدول الإسلامية، وتبلغ المأساة منتهاها عند تآمر الغرب على إسقاط الخلافة العثمانية .

- المشروع الفكرى الإسلامى ليس مشروعاً عدائيًا ضد أحد، لكنه بإمكانه التعايش السلمى مع الأمم الأخرى بحضاراتها المسيحية واليهودية .

- إذا كانت الحروب الصليبية والاستعمار وإسقاط الخلافة الإسلامية من النتوء والندبات التى تعجز الأحداث عن مداواتها وإزالة أثرها، فإن الأكثر ألمًا من ذلك والأشد بروزًا وتشويها للجسد الإسلامى والجرح العميق ذو الرائحة الكريهة التى من شدتها تكاد تزكم الأنوف والذى يعد حفرة عميقة فى جسد الأمة الإسلامية العربية،ولا يزال ينزف ويتسع إن ذلك الحدث هو غرس العضو الأشل المريض بالأكلة فى الجسد الإسلامى - إنه غرس إسرائيل - .

-- عندما رسم اليهود حدود مملكتهم فى مؤتمر بازل ١٨٩٧ م، كانت مملكتهم المزعومة تحت سلطان الخلافة العثمانية، فعملوا على إسقاطها بالتواطؤ مع جماعة الدونمة التركية واستطاعوا ذلك .

- لقد نشأت أجهزة إدارية فى الدول الإسلامية العربية تحظى بالرعاية والنصيب الأكبر من ميزانية هذه الدول عملها الأساسى - بل الوحيد - هو

تلهية المسلمين عن ماضيهم وتشويهه ، فلينشغل المسلمون بالمسارح والملاهى والسينما والمباريات ، ولتنشب بينهم العداوات والخصومات ، وليحفظوا أعلام النهضة الغربية والعربية المأفونين المأجورين - لكن ليس لهم بحال أن يعرفوا متى سقطت الخلافة الإسلامية ؟ وكيف ؟ وبفعل من ؟ ليس لهم أن يعرفوا كيف غرست إسرائيل فى قلب المسلمين، لتقلب لهم الحقائق، فالشرفاء عندهم هم الخونة العملاء والأقزام هم العمالقة الأعلام ، كيف ترى أعيننا العدو من الصديق عندما تقلب الحقائق ويصنع من الورق أسود، ومن الأعداء أصدقاء أوفياء، ومن أهلينا أعداء وخصوم شداد ، إن هذا الأمر يصيب الشخصية الإسلامية بالتخبط وعدم وضوح الرؤية ·

- إن المسلمين بعد عام ١٩٢٤ - تاريخ سقوط الخلافة العثمانية - دخلوا التاريخ باسم العرب وبقوميات مختلفة، ورحل للأبد اسم المسلمين ككيان له ذات واستقلال ، أما اليهود فقد دخلوا التاريخ كله باسم اليهود وبتعاليم الماضى وسموا الأماكن والمؤسسات بأسماء توراتية يهودية ·

- فى كل دولة يتحكم فى سياستها عاملان - الدين والمصلحة - وإن كانت الدولة تقدم المصلحة غالبًا، إلاّ أنها تجاهر بتقديم الدين لتحظى بالاحترام، ولقد توافر العاملان معا لدى الغرب تجاه المسلمين - فحسب تخاريف رجال الدين وحسب المصالح ، يعد المسلمون عدوّ الغرب الوحيد ·

- إن الشخصية الإسلامية العربية مريضة ، والخلل فيها واضح سواء فى التفكير أو فى التفاعل مع الأحداث، وهذا الخلل ليس بسبب الإسلام ، كما يدعى الغرب واليهود، ويساعدهم فى ذلك عرب أدعياء دخلوا فى سجلاتنا وهم لقطاء، إنما السبب غياب الإسلام عن الواقع الفعلى وغياب الماضى عن الشخصية المسلمة فهى مسلمة وإسلامها جريمة ، عربية ولغتها تخلف، وتقاليدها رجعية وحيوانية، وقيمها قيود ثقال، عدوها الوحيد هو صديقها المفروض عليها من قبل أنظمة الحكم فيها ، وما تحتاجه يحرم عليها ، وما ترفضه تلزم به ·

- إن المسلمين عليهم أن يدخلوا الحاضر مستندين إلى ماضيهم وثوابته،

وليعلموا أن التمسك بالماضى والعقيدة سيحفظ عليهم شخصيتهم واستقلالهم، وأن فى غير ذلك الهلاك والبوار، وأمامنا ما حدث فى تركيا على يد الأرعن «أتاتورك » البليد ·

– من نتائج غفلة المسلمين عن ماضيهم ، الاغتراب والتخلف والفشل فى المزاوجة بين الحديث والقديم واختلاط الأمور، فلم يعرفوا عدوًّا من صديق، وانتظروا المساعدة والعون من أعدائهم، وراحوا يتوعدون ويحاربون ويدمرون أهليهم المسلمين ·

– من أسوأ نتائج إهدار الماضى وترك الإسلام كمنهج حياة، أن صار المسلمون أتباعًا للغرب الذى يملك المشروع الحضارى الوحيد فى نظرهم – وأصبح الغرب عندهم السيد الآمر المخطط المدبر، أمَّا هم فقد وجدوا أنفسهم صفر اليدين، مما أضعف الوجود الإسلامى فى مواجهة الغرب المسيحى واليهود على حد سواء ·

– اخترقنا من أعماقنا، ومسخنا لغيرنا ،واجتثت أصالتنا، ومحيت حضارتنا، وصار « الهامبورجر » طعامنا، « والجينز والجيب » ملبوساتنا، وأصبحوا يتحكمون فى أهدافنا وأذواقنا ، (حتى حلاقة رأسنا) هل بعد ذلك يفكرون فى احتلالنا، أو ليس ما نحن فيه احتلال ·

– الإسلام كتشريع يعد من أحد ثوابت الأمة الإسلامية، ولا يعد هذا عائقا للتقدم العلمى، ذلك أن هناك فارقًا بين ثبات التشريع وبين التقدم العلمى كأحد المتغيرات، وليس فى هذا عجب، بل فى مجال العلم ذاته هناك ثوابت ضاربة فى أعماق القدم، ولا يتعجب منها، فذرة الفحم تجذب أربع ذرات هيدروجين، ولا يستغرب ذلك أحد، فلماذا الاستغراب إذن من ثبات التشريع فى الإسلام ·

– إن الإنسان الضعيف الذى لا يستطيع أن يعمل عقله فى سبب ثبات قوانين الطبيعة ، عليه أن يحترم حدود عقله أمام تشريع الله فى حياته ، لا سيما وأن أدلة ثبات هذه الأخيرة أوضح، فالثوابت فى المشروع الإسلامى

ومضات مضيئة فى حياة البشر ، بغيرها يتخبط فى ظلام دامس وهى أيضا إشارات مرور تنظم رغبات ووسائل الإنسان، بغيرها يصطدم ويتهشم ، فالسير فى طريق مظلم يؤدى للخطر لا محالة ، ويحتاج لإنارة ، وإنارته خير من أن يملأ بالحراس ، كما أن السير فى طريق مزدحم يحتاج لإشارات تنظم المرور، وفى المشروع الفكرى الإسلامى، فإن لمبات الإضاءة والإشارات هى الثوابت، وعند افتقادها - كما حدث فى الغرب - وكما هو مخطط لنا - يصطدم الإنسان مع فطرته وروحه وقيمه ورغباته ومع الآخرين، وتكون المحصلة صراع وصدام مع كل شئ، وتدمير وإهلاك لكل شىء وهذا هو حال الغرب الآن - رغم التقدم العلمى .

- اللغة العربية من الثوابت فى ماضى الأمة العربية الإسلامية، فهى وعاء الثقافة ووسيلة التفكير ، ولقد رفضت اليابان تغيير لغتها رغم موافقتها على جميع الشروط الأمريكية عقب ضربها بالقنابل الذرية ، كما أن فرنسا أصدرت تشريعا يعاقب من يستعمل لغة غير اللغة الفرنسية ، فما بال الأمة العربية الإسلامية تحارب لغتها من الداخل فضلا عن الحروب الموجهة إليها من الخارج - الحداثة والعلمانية ،وغير ذلك .

- فى حياة الأمم لا ينظر لشىء على أنه بسيط وتافه، فكل شىء يساعد على استقلال وذاتية وتمييز الأمة له أهمية، وذلك ما حدث عند اختيار التأريخ الهجرى للأمة الإسلامية، حتى تتميز عن الفرس واليهود والنصارى فى تأقيت معاملاتها وأحداثها، وبعد مشاورات عدة مع جلة الصحابة فى عهد عمر بن الخطاب ،ثم اختيار حادث الهجرة والبدء بشهر المحرم .

- رغم أن مجال المتغيرات متسع ويشمل علاقة الإنسان بالطبيعة ومواردها والاكتشاف والاختراع، ويمكن أن تتغير الصورة فى كل هذا حسب الزمان والمكان، إلاَّ أن مرضى القلوب وذوى النوايا السيئة المأجورين للغرب واليهود، يتركون مجال المتغيرات وينخرون فى الثوابت، وحاضر الأمة الإسلامية

بعيد كل البعد عن المنهج الإسلامى سواء فى مجـــال السياسة أو الاجتمـــاع أو الاقتصاد أو التعليم وحتى وسائل التسلية والترويح، ما هى فى حقيقة الأمر سوى اعتداء على ثوابت المنهج الإسلامى ، كما أن الأفراد أنفسهم لم يقفوا عند نظرة الإسلام للخير والشر والجمال والقبح، لا فى الذوق، ولا فى الطعام، ولا فى الثياب ،ولا غير ذلك، إنما أصبح المعيار عندهم النموذج الغربى ودكاكين الموضة، وصارت الثقافة تعنى العلم بأحوال الغرب ،وطريقة حياتهم، أما تقليد الغرب فهو قمة التقدم والرقى ·

- نظام الحكم فى الإسلام يؤدى إلى تحقيق العدل ولا يعيبه عدم التشابه مع النظم الأخرى، بل يعد تمييزا وتفردا ، وذلك أن النظم العصرية، إذا لم تحقق العدل فلا قيمة لها ·

- الإسلام لم ينظم التداول السلمى للسلطة - والمتمثل فى الانتخابات التى تجرى بعد كل فترة، وذلك لأنه لا يؤقت مدة الحكم، فما دام الحاكم صالح لممارسة اختصاصه جسمانيًا ووظيفيًا، فلا جدوى من تغييره ،ولأن الإسلام يعتبر السلطة تكليفًا ولا تعطى لمن يطلبها ، ومن ثم كان نظام الحكم فى الإسلام يعمل على حماية ورعاية الأفراد ·

- الإعلام المقروء والمرئى والمسموع وغالبية المؤسسات والهيئات فى الدول العربية الإسلامية، تتجاهل عن قصد - وغير قصد - الارتباط الوثيق بين المنهج الإسلامى للحياة والواقع، وكل عملها هو فرض النموذج الغربى على الذوق العربى الإسلامى ·

- يجب مراعاة الفارق بين الدين كنصوص وبين التيارات الفكرية الدينية، فالأديان السماوية كما جاءت من عند الله، لا يمكن أن تؤدى للفساد فى الأرض، لأنها من عند الله ،وليست من محلات الأوهام - كما يقولون-ومن ثم فالفكر اليهودى الذى يبيح سلب الأوطان وبيع الأعراض وقتل البشر ليس من عند الله ·

- الجماعات الإسلامية حتى تحظى بالقبول لدى الله ولدى بنى جلدتها، عليها أن تتسلح أولاً بالعلم، وثانيًا بحب الناس، وأن تعرف أن دورها هو التوجيه والتعليم والنصح فحسب - وذلك هو دور النخبة على مدى التاريخ - وأن يكون الهدف فى علاقتها بالأفراد التعليم وليس الاستقطاب ·

- المسلمون لا يملكون وضع الخطط للمستقبل، وذلك بسبب غياب الماضى- المنهج - بثوابته مما أدى لعدم وجود الأهداف الواضحة المحددة، فتراهم يحلمون بما رفضوه من قبل ويقبلون التنازلات ، أما اليهود فإن أهدافهم المستمدة من التوراة - المحرفة - محددة وواضحة، ومن ثم كانوا فى تقدم مستمر، كما أن الغرب المسيحى وأمريكا، يستمدون أهدافهم من العلمانية - كمنهج لهم - وهى فى مجملها إشباع الرغبات والشهوات فحسب ، إن حاضر الغرب المسيحى وأمريكا ليس تواصلا مع ماضيهم، وإنما هو استثناء وفوضى، كذلك الشأن بالنسبة لليهود، وإن كان حاضرهم أعمق فى القدم ، ذلك أن الغرب المسيحى واليهودى لو احترموا ماضيهم - الإنجيل والتوراة - دون تحريف لكان الإيمان بالإسلام هو التواصل مع الماضى ·

- الوجود الأمريكى الآن شأن الانتفاخات غير الطبيعية ،أما الوجود اليهودى كشأن الأورام السرطانية الخبيثة وبمجرد تطبيق الإسلام كمنهج حياة ستنكمش هذه الانتفاخات وتبتر هذه الأورام ،فالحضارة الأمريكية حضارة زائفة لامعة من الخارج، وتحت طلائها اللامع يوجد الجرب والنتن والقروح والتشوهات، وسوف يتعرى هذا الجسد ويرى العالم كله ما به من تشوهات، فهو يتآكل داخليا وسيبلى من شدة الاستعمال، شأن الأثواب، ولن يجديه التبديل والتغيير شأن المواد الاستهلاكية ·

أمَّا حضارة اليهود - وإن كانت أكثر صلابة - فإنها عدائية للبشر لا تحيا إلاَّ على دمائهم وسلب أوطانهم، وسوف يتكالب عليها البشر ويفتضح أمرها، عندما يطبق المنهج الإسلامى فى الحياة ·

- الأفراد هم لبنات الأمم ومنهم تؤتى الأمم وبهم تسود وتعلوا، فعلى أفراد الأمة الإسلامية العربية أن يحترموا الإسلام فى كل شئونهم سواء فى علاقاتهم بالمؤسسات والهيئات أو فى شئونهم الخاصة،وذلك يقتضى عدم التعاون مع المؤسسات والهيئات التى لا تحترم المعادلة التى معنا أيًّا كانت صورة هذا التعاون مشاركة فى الإدارة أو التمويل أو حتى فى التكوين،ولو عن طريق الانتخابات،ويقتضى أيضا احترام الإسلام فى الأثاث والثياب والطعام والمسكن وغير ذلك،بل وعليهم أيضا تقديم التراث فى هذه الأمور على نموذج الآخر فيها .

* * *

الفهرس

الموضـــوع الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٩٣٤٨ / ١٩٩٦
الترقيم الدولي : 977-19-1521-5

دار التوفيق النموذجية للطباعة
أوفست.. تيبو
الأزهر، ٣ حيشان الموصلي بجوار جامع السدماه
ت : ٥١١٥٣٠٤